فصول مهمة

في

تاريخ التفسير

تأليف

الدكتور/ محمد بن علي بن جميل المطري

Q4.Prt
Quickly For Print
كيوفور
للطباعة والنشر

فُصُولٌ مُهِمَّةٌ
فِي تَارِيخِ التَّفْسِيرِ

فصول مهمة

في

تاريخ التفسير

تأليف

الدكتور/ محمد بن علي بن جميل المطري

Q4.Prn
Quickly For Print
كيوفور
للطباعة والنشر

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ / ٢٠٢٢م

اســـــم الـكـتـاب :	فصول مهمة في تاريخ التفسير.
اســـــم المـؤلـف :	د. محمد بن علي بن جميل المطري.
مقـــاس الصفحة :	١٧ × ٢٤ سم .
عـــدد الصفـحات :	(١٣٤ صفحةً) .
رقـــم الـطـبـعـة :	الأولى ـ ١٤٤٤هـ / ٢٠٢٢م .
التنسـيق والإخـراج :	كيوفور للطباعة والنشر

حقوق الطبع محفوظة لكل مسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله العلي الأعلى، الذي خلق فسوَّى، والذي قدَّر فهدى، أحاط بكل شيء علما، وأحصى كل شيء عددا، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه، ونسأل الله سبحانه أن يوفقنا للاعتصام بكتابه، وأن يهدينا لتلاوته وتدبره والعمل به، وأن يرزقنا التمسك بسنة نبيه، واتباع أصحابه، **أما بعد:**

فالقرآن الكريم كتاب هداية وتشريع وحكم، يهدي المؤمنين المتدبرين له إلى أحسن الخصال في العقائد والعبادات والمعاملات، وفي المُلك والحُكم والسياسة والأخلاق، وفي سائر الأمور والأحوال، ويحكم بين الناس فيما فيه يختلفون، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩]، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ

يُؤۡمِنُونَ ﴿٦٤﴾ [النحل:٦٤]، وقد أمرنا الله سبحانه بالاعتصام بكتابه فقال تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣]، ففي القرآن العظيم هدايتنا، وفيه عزنا وشرفنا، كما قال سبحانه: ﴿ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ ٱلۡوَعۡدَ فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٩﴾﴾ [الأنبياء:١٠]. فيه ذكركم يعني: شرفكم وعزكم.

فعلى العلماء والدعاة وطلاب العلم على مختلف تخصصاتهم واهتماماتهم أن يعظموا القرآن الكريم، وأن يهتموا بتلاوته وتعلمه وتدبره، وأن يعتنوا أشد الاعتناء بعلم التفسير، وليكن القرآن الكريم أهم ما يدرسه الطلاب في المدارس والمعاهد والجامعات في مختلف التخصصات، وأن يتدارسه الناس في المساجد والبيوت، فخير الناس علمًا وعملًا وفضلًا من تعلم القرآن وعلمه، كما في حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَه»[1].

وإن المسلمين اليوم في أشد الضرورة لتعلم القرآن الكريم والسنة

(١) رواه البخاري (٥٠٢٧).

النبوية المبينة له، فقد كثُر الجهل بالعلم الشرعي، وكثرت الخلافات، وتنوعت الفتن، وعظم الفساد، وتوالت الشدائد، وذل المسلمون، ولا مخرج للمسلمين اليوم من هذا البلاء العظيم، والحال السيئة التي صاروا إليها إلا بتعلم كتاب الله وسنة رسوله، والعمل بهما بصدق وإخلاص، ونشاط وقوة، فهما سبيل النجاة، وفيهما الهدى والنور، وفيهما بيان كل ما نحتاج إليه في ديننا ودنيانا، وفيهما معالجة واقع المسلمين الأليم، فبالاعتصام بالقرآن العظيم والسنة النبوية الصحيحة تصلح عقائد الناس وأعمالهم الظاهرة والباطنة، وبهما تصلح جميع أمور المسلمين الخاصة والعامة، الدينية والدنيوية، ففي العلم والعمل بالقرآن والسنة كل خير في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢﴾ [آل عمران:١٣٢].

وقد وفق الله سبحانه كثيرًا من علماء المسلمين قديما وحديثا إلى تأليف كثير من كتب التفسير النافعة، المبسوطة والمتوسطة والمختصرة، بأساليب متنوعة، ومناهج متعددة، ومما يسهل الاستفادة

الكاملة من كتب التفسير العلم بتاريخ علم التفسير منذ نشأته إلى وقتنا الحاضر؛ ليكون الطالب على بينة وبصيرة في علم التفسير، فيعرف طرق التفسير، وبداية تدوين علم التفسير، ومصادره، وطبقات المفسرين، ومراتبهم، وقدر تفاسيرهم، وما يُؤخذ على بعضهم.

وهذه فصول مهمة متنوعة في تاريخ التفسير، لخصتها من بعض كتب علوم القرآن القديمة والحديثة، ومن بعض كتبي وبحوثي التي يسر الله لي كتابتها بفضله، وأسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب دارسه وقارئه.

وكتب/ **محمد بن علي بن جميل المطري**

صنعاء – اليمن

٧ شهر ربيع الأول ١٤٤٤هـ الموافق ٣/ ١٠/ ٢٠٢٢م

التمهيد

أنزل الله كتابه لنتذكر به ما ينفعنا في ديننا ودنيانا، كما قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص:٢٩]، فالقرآن الكريم كتاب مجيد، كثير المعاني والوجوه، كثير الخير والبركات، وصفه الله بأنه مجيد فقال: ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ١﴾ [ق:١]، والمجد: سعة الأوصاف وعظمتها، فقد احتوى القرآن على ما يحتاجه الأولون والآخرون، وهو أعظم من أن يحيط بجميع معانيه عالِمٌ واحد أو علماء زمن معين، فمن عظمة القرآن أنه لا تنقضي عجائبه، فهو يهدي للتي هي أقوم في كل زمان ومكان، ولم يزل العلماء يهتمون بتفسير القرآن عبر القرون، ويستخرجون من القرآن الكريم الهدايات القرآنية الظاهرة والخفية، فمستقل ومستكثر.

قال الإمام الشافعي: "فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا

وفي كتاب الله الدليلُ على سبيل الهدى فيها"[1].

وأكثر الناس غافلون عن دخول الواقع الذي يشاهدونه تحت آيات القرآن الكريم، وتضمنها حل مشاكلهم، ويظنون آيات القرآن في قوم قد خلوا من قبل، وهذا هو الذي يحول بين الناس وبين فهم القرآن الحكيم والانتفاع به في جميع الأمور الخاصة والعامة، وإلا فمن تدبر آيات القرآن العظيم، ونزَّلها على واقعه تبين له كل ما يحتاج إليه في أمور دينه ودنياه[2].

قال ابن الحاج: "عجائب القرآن والحديث لا تنقضي إلى يوم القيامة، كل قرن لا بد له أن يأخذ منه فوائد جمة خصه الله بها، وضمها إليه؛ لتكون بركة هذه الأمة مستمرة إلى قيام الساعة"[3].

(١) الرسالة (ص: ١٩).

(٢) يُنظر: إعلام الموقعين لابن القيم (٢/١٦١).

(٣) المدخل (١/٧٥).

ونصوص القرآن تنقسم إلى قسمين:

١) نصٌ ظاهر لا يخفى، ولا يحتاج إلى تفسير، وهذا يستنبط منه المتدبر مباشرة.

٢) نصٌ يحتاج إلى تفسير، وهذا يكون الاستنباط منه بعد بيانه وتفسيره.

والاستنباط يكون بربط المعنى المستنبط بمدلول الآية، بأي نوع من أنواع الربط، إما بدلالة المطابقة أو دلالة التضمن أو دلالة الالتزام أو دلالة المفهوم أو دلالة السياق أو دلالة الإشارة أو دلالة المناسبة لما قبل الآية أو ما بعدها، أو دلالة موضوع السورة ومقصدها، أو غير ذلك، وقد يكون الاستنباط لفائدة علمية أو لحكم فقهي أو عقدي، أو أدب أخلاقي، وقد يكون الاستنباط لفوائد تربوية[١].

(١) يُنظر: مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر للطيار (ص: ١٦٠، ١٦١)، الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية لطه عابدين وياسين قادري وفخر الدين الزبير (٥٠٢/٢-٥٥٨).

ويجوز الاستنباط من القرآن العظيم بشرطين اثنين، هما:

الشرط الأول: أن يحتمل المعنى المستنبط ظاهر لفظ القرآن الكريم، بما يوافق قواعد اللغة العربية في الإفراد والتركيب.

الشرط الثاني: أن لا يخالف المعنى المستنبَط صريح القرآن الكريم أو ما صح من السنة النبوية، فإنَّ القرآن الكريم حقٌ يصدق بعضه بعضا، والسنة الصحيحة حق توافق القرآن ولا تخالفه، فمن أتى بمعنى أو هداية أو استنباط يخالف ما قرره القرآن الكريم أو السنة الصحيحة فإنه معنى خاطئ يقينًا لا يُقبل بحال، ومن أتى بمعنى أو هداية أو استنباط جديد يحتمله لفظ القرآن ولا يخالف ما قرره القرآن أو السنة الثابتة فإنه معنى صحيح، يُقبل منه؛ لأن القرآن الكريم حمَّال أوجه، وهذا من عظمة القرآن، فالآية الواحدة قد تُفسَّر بأكثر من قول إن كانت تلك الأقوال صحيحة المعاني، ويحتملها اللفظ القرآني بما يوافق قواعد اللغة العربية التي أنزل الله بها القرآن الكريم[1].

(١) يُنظر: التجديد عند المفسرين، مقال للمؤلف منشور في موقع الألوكة، وجامع الكتب =

ولمعرفة تفسير القرآن الكريم خمس طرق صحيحة هي:

١) تفسير القرآن بالقرآن.

٢) تفسير القرآن بالسنة.

٣) تفسير القرآن بأقوال الصحابة الذين أخذوا العلم عن النبي ﷺ.

٤) تفسير القرآن بأقوال التابعين الذين أخذوا العلم عن الصحابة رضي الله عنهم.

٥) تفسير القرآن بلغة العرب التي نزل بها القرآن الكريم.

والخطأ في تفسير القرآن الكريم له أسباب كثيرة، منها:

١) التفسير بالرأي المجرد مع وجود طريق صحيح لتفسير الآية بالقرآن الكريم أو السنة الصحيحة أو أقوال الصحابة والتابعين أو باللغة العربية، والإعراض عن الطريق الصحيح لتفسير الآية بسبب اتباع الأهواء، والتعصب للبدع المختلفة.

٢) الاعتماد على أحاديث ضعيفة أو موضوعة.

= الإسلامية، وشبكة مشكاة الإسلامية.

٣) الأخذ بالإسرائيليات[(١)].

٤) ادعاء الإجماع على قول مع وجود خلاف معتبر.

٥) الخطأ في نسبة قول إلى أكثر المفسرين أو بعض المفسرين المشهورين، وتتابع المفسرين المتأخرين على الخطأ في نسبة ذلك القول، والترجيح بين الأقوال باعتماد تلك النسبة، وليس الأمر كذلك.

٦) الاعتماد على أخبار مروية عن السلف الصالح ﷺ وهي غير

(١) النبي ﷺ أذن في الرواية عن أهل الكتاب بشرط عدم تصديقهم ولا تكذيبهم، ففي صحيح البخاري (٣٤٦١) من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ أن النبي ﷺ قال: «حدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»، وفي صحيح البخاري (٤٤٨٥) من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «لا تُصدِّقوا أهل الكتاب ولا تُكذِّبوهم»، فكان بعض الصحابة والتابعين يسمعون بعض الأخبار الإسرائيلية عن من أسلم من أهل الكتاب كعبد الله بن سلَام وكعب الأحبار ووهب بن مُنبِّه، ومن غيرهم، وكانوا يروونها من غير تصديق لها ولا تكذيب، ولكن حصل الخطأ من بعض المفسرين في اعتمادهم على تلك الإسرائيليات في تفسير القرآن الكريم، وصار بعض الناس يجزمون بها، مع أن بعضها باطل، وتمييز الإسرائيليات في التفسير أمر مهم صونا لكتاب الله من أن يدخل في تفسيره ما ليس منه.

ثابتة عمن نُقِلت عنهم أو لا أصل لها[1].

فالطرق الصحيحة لمعرفة التفسير تعتمد على النقل الصحيح، وأسباب الخطأ في التفسير ترجع إلى الجهل بالمنقول الصحيح أو الإعراض عنه أو نقل ما لا يصح وظنه ثابتا عمن نُسب إليه.

المقصود بتاريخ التفسير

المقصود بتاريخ التفسير العلم الذي يبحث في نشأة علم التفسير، وطرق استمداده، ومراحل تدوينه، ومراتب المفسرين، ومعرفة أشهر التفاسير ومزاياها، وما عليها من ملاحظات[2].

---

(١) يُنظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ٣٤)، أسباب الخطأ في التفسير لطاهر يعقوب (ص: ٨٨-٣٥٠)، الخطأ في نسبة الأقوال في كتب التفسير دراسة نظرية وأمثلة تطبيقية، وهو بحث الماجستير للمؤلف، منشور في موقع الألوكة، ومطبوع في دار اللؤلؤة-مصر.

(٢) يُنظر: تاريخ التفسير لحاكم الحاكم (ص: ٦)، المقدمات الأساسية في علوم القرآن للجديع (ص: ٣١٣).

نشأة علم التفسير

تعلم الصحابة ﷺ من النبي صلى الله عليه وآله وسلم القرآن الكريم والسنة النبوية، وتفقهوا في الدين، ثم علَّموا من جاء بعدهم من التابعين هذا العلم النافع من القرآن الكريم وتفسيره والسنة النبوية والفقه.

وعلَّم التابعون هذا العلم من جاء بعدهم من أتباع التابعين، وحفظ علماء الأمة الميراث النبوي من العلم الشرعي النافع، ونقله علماء كل عصر إلى من بعدهم جيلا بعد جيل، وكانوا يحفظون العلم في صدورهم، ويعلمونه طلابهم، واستعانوا على حفظه وتعليمه بتقييده وتأليفه في الكتب.

فكانت بداية نشأة علم التفسير في عهد الصحابة ﷺ الذين تعلموا من النبي ﷺ القرآن تلاوة وتفسيرا، وتعلموا سنته، وتفقهوا في دين الله، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ

ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٢ وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٤﴾ [الجمعة:٢-٤]، فكان الصحابة أعلم الناس بتفسير كتاب الله وسنة رسوله، ثم جاء بعدهم التابعون فتعلَّموا منهم القرآن الكريم بقراءاته وتفسيره وعلومه، وتعلموا منهم السنة النبوية، وعلَّم التابعون هذا العلم من جاء بعدهم من أتباع التابعين، فالصحابة ثم تلامذتهم التابعون ثم أتباع التابعين هم أعلم الأمة بكتاب الله وسنة رسوله، وخير الناس بشهادة الله ورسوله، وقد أمرنا الله باتباع الصحابة، وأثنى عليهم في آيات كثيرة بيانا لفضلهم[1]، قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [التوبة:١٠٠]، وقال سبحانه: ﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ [العنكبوت:٤٩].

(١) يُنظر: مائة آية في فضل الصحابة للمؤلف، منشور في موقع الألوكة.

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»[1].

قال ابن تيمية: "يجب أن يُعلم أن النبي ﷺ بَيَّنَ لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه، فقوله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤]، يتناول هذا وهذا، وقد قال أبو عبد الرحمن السُّلَمي: حدَّثنا الذين كانوا يُقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا ... ولهذا كان النزاع بين الصحابة في تفسير القرآن قليلًا جدًا، وهو وإن كان في التابعين أكثرَ منه في الصحابة، فهو قليل بالنسبة إلى من بعدهم، وكلما كان العصر أشرف كان الاجتماع والائتلاف والعلم والبيان فيه أكثر. ومن التابعين من تلقى جميع التفسير عن الصحابة، كما قال مجاهد: عرضتُ

(١) رواه البخاري (٢٦٥٢) ومسلم (٢٥٣٣).

المصحف على ابن عباس أُوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها؛ ولهذا قال الثوري: إذا جاءك التفسير عن مجاهدٍ فحسبك به؛ ولهذا يعتمد على تفسيره الشافعي والبخاري وغيرهما من أهل العلم، وكذلك الإمام أحمد وغيره ممن صنف في التفسير، يكرر الطرق عن مجاهد أكثر من غيره. والمقصود أن التابعين تلقوا التفسير عن الصحابة، كما تلقوا عنهم علم السنة، وإن كانوا قد يتكلمون في بعض ذلك بالاستنباط والاستدلال، كما يتكلمون في بعض السنن بالاستنباط والاستدلال"[1].

فلا غنى للمفسر عن النظر في كلام الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، فهم أفضل هذه الأمة علمًا وعملًا، وفيهم -لا سيما الصحابة- من الرسوخ في معرفة اللغة العربية، وفصاحة اللسان، وقوة البيان ما ليس فيمن جاء بعدهم، مع ما هم عليه من الصدق والإخلاص والاحتياط في الكلام، والتحري في تفسير القرآن، ويكفي

(١) مقدمة في أصول التفسير (ص: ٩-١١).

الصحابة فضلا وشرفا أنهم أخذوا العلم عن النبي ﷺ مباشرة، وعاصروا التنزيل، وعرفوا أسباب النزول، وكان ﷺ يبين لهم ما أنزله الله عليه من القرآن بقوله(١) وفعله(٢)، وكانوا يسألونه عما يُشكِل عليهم(٣)، ويكفي التابعين فضلا وشرفا أنهم أخذوا العلم عن الصحابة رضي الله عنهم، ويكفي أتباع التابعين أنهم أخذوا العلم عن التابعين الذين أدركوا أصحاب النبي ﷺ.

---

(١) من ذلك تفسير النبي ﷺ معنى الكوثر بأنه نهر في الجنة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قرأ سورة الكوثر ثم قال لأصحابه: «أتدرون ما الكوثر؟»، فقالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه نهر وعدنيه ربي ﷻ، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم» رواه مسلم في صحيحه (٤٠٠).

(٢) من ذلك كيفية صفة الصلاة، وقصر الصلاة الرباعية في السفر، وأحكام الزكاة، ومناسك الحج، وغير ذلك.

(٣) من ذلك سؤالهم عن قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ [الأنعام:٨٢]، وقالوا: أينا لم يلبس إيمانه بظلم؟ فبين لهم النبي ﷺ أن المراد بالظلم في هذه الآية الشرك، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان:١٣]، رواه البخاري في كتاب التفسير من صحيحه (٤٧٧٦) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

عن عبد الله بن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «تَسْمَعُونَ، وَيُسْمَعُ مِنْكُمْ، وَيُسْمَعُ مِمَّنْ سَمِعَ مِنْكُمْ»[1].

وقد كان القرآن الكريم هو أصل العلم في عهد النبي ﷺ وعهد الصحابة والتابعين، وكان القرآن أعظم ما يتعلمونه ويعلمونه وينشرونه، وكان النبي ﷺ يُكثر من قراءة القرآن على الناس حتى في خطب الجمعة، قالت أم هشام بنت حارثة بن النعمان ﷺ: (ما أخذت سورة ق والقرآن المجيد إلا عن لسان رسول الله ﷺ، يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر، إذا خطب الناس)[2].

وهكذا كان الصحابة يحرصون على وعظ الناس بالقرآن الكريم، ويحرصون على تعليمهم تفسير القرآن في خطبهم ومجالسهم، فعن ربيعة بن عبد الله أن عمر بن الخطاب ﷺ قرأ يوم الجمعة على المنبر بسورة النحل حتى إذا جاء السجدة نزل، فسجد وسجد الناس، حتى

---

(١) رواه أبو داود في سننه (٣٦٥٩) وصححه ابن حبان في صحيحه (٦٢).

(٢) رواه مسلم (٨٧٣).

إذا كانت الجمعة القابلة قرأ بها، حتى إذا جاء السجدة قال: (يا أيها الناس إنا نمر بالسجود، فمن سجد، فقد أصاب، ومن لم يسجد فلا إثم عليه)، ولم يسجد عمر رضي الله عنه[1].

وعن عاصم بن كليب عن أبيه قال: (خطب عمر يوم الجمعة، فقرأ آل عمران، وكان يعجبه إذا خطب أن يقرأها)[2].

وعن أنس رضي الله عنه أن عمر قرأ على المنبر سورة عبس حتى أتى على هذه الآية: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾ [عبس:٣١]، ثم قال: (هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب؟، ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو التكلف يا عمر)[3].

وعن يحيى بن رافع قال: سمعت عثمان بن عفان رضي الله عنه يخطب،

---

(١) رواه البخاري (١٠٧٧).

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره (٦/ ١٧٢).

(٣) رواه ابن أبي شيبة (٣٠١٠٥) وابن جرير في تفسيره (٢٤/ ١٢٠) بإسناد صحيح على شرط الشيخين.

فقرأ هذه الآية: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾﴾ [ق:٢١] قال: (سائق يسوقها إلى الله، وشاهد يشهد عليها بما عملت)[١].

وعن ابن أبي حسين قال: قام علي بن أبي طالب ﷺ فقال: ألا أحد يسألني عن القرآن؟ فو الله لو أعلم اليوم أحدا أعلم به مني، وإن كان من وراء البحور لأتيته، فقام عبد الله بن الكواء فقال: من ﴿ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾ [إبراهيم:٢٨]؟ قال: (هم مشركوا قريش، أتتهم نعمة الله الإيمان فبدلوا قومهم دار البوار)[٢].

وعن ابن عباس ﷺ أنه قرأ في خطبة الجمعة سورة هود كاملة، وفسر ما يحتاج الناس إلى تفسيره منها، فعن سعيد بن جبير قال: سمعت ابن عباس قرأ هذه السورة على الناس حتى بلغ: ﴿وَجَآءَكَ فِي

(١) رواه عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره (٢٩٥٥) بسند صحيح.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٢٤٧).

هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ﴾ [هود:١٢٠] قال: (في هذه السورة)[١].

وعن أبي عبد الرحمن السُّلَمي قال: سمعت حذيفة بن اليمان يوم الجمعة وهو على المنبر قرأ ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١﴾ [القمر:١] فقال: (قد اقتربت الساعة، وقد انشق القمر، فاليوم المضمار، وغدا السباق)[٢].

وعن حارثة بن سليمان السلمي قال: سمعت عبد الله بن الزبير وهو يفسر هذه الآية على المنبر، وهو يقول: هل تدرون ما ﴿مُدۡهَآمَّتَانِ ۝٦٤﴾ [الرحمن:٦٤]؟ (خضراوان من الرِّيِّ)[٣].

وفي هذا الأثر بيان مشروعية تفسير الخطيب آيات القرآن على المنبر، فخير ما يُذكَّر به الناس يوم الجمعة القرآن، كما قال تعالى:

---

(١) رواه ابن جرير في تفسيره (١٢/ ٦٤٤)، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١١٣٠١) وفيه التصريح بأنه قرأها على المنبر، ورواه ابن جرير (١٢/ ٦٤٤) عن مروان الأصفر وعمرو العنبري أنهما سمعا ابن عباس يقرؤها على المنبر.

(٢) رواه عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه (٥٢٨٥).

(٣) رواه ابن جرير في تفسيره (٢٢/ ٢٥٥).

﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾ [ق:٤٥].

وقال التابعي الجليل مسروق الوادعي: (كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقرأ علينا السورة، ثم يحدثنا فيها، ويفسرها عامة النهار)[١].

وقال أبو رزين: (خطبنا الحسن بن علي يوم جمعة، فقرأ سورة إبراهيم على المنبر حتى ختمها)[٢].

وعن الضحاك بن قيس رضي الله عنه أنه خطب فقرأ سورة ص، فسجد فيها[٣].

وعن معقل بن عبيد الله قال: جلست إلى ميمون بن مهران فقيل له: يا أبا أيوب لو قرأت لنا سورة ففسرتها، فقرأ إذا الشمس كورت حتى إذا بلغ ﴿مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴿٢١﴾﴾ [التكوير:٢١] قال: (ذاك جبريل صلوات

(١) رواه ابن جرير في تفسيره (١/ ٧٥).

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١/ ٢٧٨).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٤٢٧٤).

الله عليه، والخيبة لمن يقول: إيمانه كإيمان جبريل عليه السلام)[1].

وفي هذا الأثر الحرص على تعليم الناس العقيدة الصحيحة من خلال تفسير القرآن الكريم، فالقرآن العظيم أفضل كتاب في العقيدة.

فالصحابة رضي الله عنهم اقتدوا بالنبي ﷺ في تذكير الناس بالقرآن في خطب الجمعة[2]، وكانوا يحرصون على تفسير الآيات القرآنية للناس على المنابر وفي المجالس، فكان علم التفسير في عهدهم منتشرا، وهذا من فقههم، ومعرفتهم بفضل القرآن الكريم، ومعرفتهم بعظمته وتأثيره، فالقرآن الكريم يصنع المعجزات في الأفراد والمجتمعات إذا تعلمه المسلمون وتدبروه واعتصموا به، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الرعد:٣١] أي: لكان

(١) رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب السنة (٨٣١).

(٢) يُنظر: حث الخطباء على تذكير الناس بالقرآن في خطب الجمعة، رسالة للمؤلف منشورة في موقع الألوكة.

هذا القرآن[1].

فالتفسير في عهد الصحابة ﷺ كان علما مستقلا، وكان فاشيا منتشرا؛ لأن الصحابة كانوا يعلمونه الناس في كل مقام، فأخذ التابعون عنهم تفسير القرآن بحظ وافر، وكان بعض التابعين يكتب ما يسمعه من التفسير عن الصحابة[2]، ولكن كان غالب اعتمادهم على الحفظ، ثم علَّم التابعون التفسير من جاء بعدهم، فنقلوا لأتباع التابعين ما سمعوه من تفسير الصحابة، وما فتح الله به عليهم من فهم كتابه، وفي عصر أتباع التابعين ظهر تدوين التفسير مع ظهور تدوين الحديث النبوي وتدوين السيرة النبوية.

فالعلم الشرعي هو الميراث النبوي الذي نقله علماء كل عصر إلى من بعدهم جيلا بعد جيل، من القرآن الكريم وتفسيره وعلومه، والحديث النبوي رواية ودراية، والسيرة النبوية، والفقه والفرائض،

(١) يُنظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٢٢٧)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٤٦٠).

(٢) سيأتي قريبا ذكر أشهر نسخ التفسير التي كتبها التابعون أو أتباعهم.

والعقيدة الصحيحة، وكانوا يحفظون هذا العلم في صدورهم، ويعلمونه طلابهم، واستعانوا على حفظه وتعليمه بتدوينه في الكتب، ونسخوا تلك الكتب بإتقان، ورواها علماء كل عصر لمن بعدهم عن شيوخهم بالأسانيد المتصلة إلى الصحابة؛ ليبقى الميراث النبوي مستمرا إلى يوم القيامة.

فالله سبحانه حفظ كتابه وسنة رسوله ودينه بواسطة أهل العلم العدول، الذين ورِثوا علم القرآن والسنة عمن قبلهم بحظ وافر، وورَّثوا هذا العلم من بعدهم، ونفوا عن دين الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، فحفظوا لنا القرآن الكريم بقراءاته المتعددة، ونقلوا لمن بعدهم كيفية تلاوته وتجويده، ودوَّنوا التفسير المأثور، ودوَّنوا السنة النبوية القولية والفعلية والتقريرية والخَلقية والخُلقية، واجتهدوا في جمع أسانيدها، وضبط أسماء الرواة وكناهم وألقابهم وأنسابهم، ومعرفة تاريخ وفاة كل منهم وولادته، وبيان موطنه ومكان وفاته، ومعرفة أحوال الرواة من حيث الحفظ

والعدالة، ومعرفة طبقات الرواة، ومعرفة شيوخهم وتلاميذهم، وقارنوا بين رواياتهم ليتميز لهم الخطأ من الصواب، وميزوا صحيح السنة من سقيمها، وألَّفوا في ذلك المؤلفات العظيمة التي تفتخر بها أمة الإسلام إلى آخر الدهر، وحفظوا لنا اللغة العربية، فدوَّنوا أشعار العرب في الجاهلية والإسلام كالمعلقات السبع وغيرها مما هو محفوظ في دواوين الشعراء وكتب الشعر والأدب؛ ليستعينوا بذلك على فهم القرآن الذي أنزله الله باللغة العربية، وكل هذا دونوه بالقلم، ونقله المتأخر عن المتقدم بأسانيدهم عن شيوخهم، كما تراه في أصول كتب التفسير والحديث والفقه واللغة والنحو والتاريخ والأنساب والشعر والأدب.

فبأقلام علماء الإسلام حفظ الله لنا دينه، وقد بين الله فضل القلم وأهميته في أول سورة أنزلها الله على رسوله فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤﴾ [العلق:٣-٤]، وأقسم الله بالقلم في ثالث السور المنزلة على رسوله فقال: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١﴾

[القلم:١]، فبالقلم تقوم مصالح الدين والدنيا، وفي ذكر القلم وفضله منذ بداية الإسلام تأكيد على أهمية القلم، وأن على المسلمين الاهتمام بتدوين العلوم، فقد صاروا بالإسلام خير أمة، وصاروا أهل العلم ومعلمي البشرية.

مراحل تدوين علم التفسير

المرحلة الأولى: كتابة روايات التفسير بالأسانيد عن الصحابة والتابعين، من غير استيعاب لجميع آيات القرآن الكريم

أول مرحلة من مراحل تدوين علم التفسير هي كتابة التابعين وأتباع التابعين وأتباعهم لأقوال المفسرين من الصحابة والتابعين وأتباعهم، من غير استيعاب لجميع آيات القرآن الكريم، وهذه الروايات نوعان:

١) روايات في التفسير متفرقة ليست مجموعة في كتاب واحد.
٢) روايات في التفسير مجموعة في كتاب واحد، وتُروى كلها بإسناد مشهور.

فمثال النوع الأول: روايات التفسير المتفرقة التي جاءت عن بعض الصحابة كعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وعائشة وأبي هريرة رضي الله عنهم، أو جاءت عن بعض التابعين كعكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير

وإبراهيم النخعي والشعبي وعطاء بن أبي رباح وغيرهم، وكان العلماء يروونها كما يروون الأحاديث النبوية بالأسانيد، وهي مبثوثة في كتب التفسير المسنَدة، وفي كتب الحديث المسنَدة، وفي كتب الزهد المسنَدة، وفي كتب التراجم المسنَدة، وفي كتب العقائد المسنَدة، ولم تكن في عصر الرواية مجموعة في نسخة واحدة.

ومن ذلك ما يرويه ابن جرير بأسانيده[1] عن شعبة وهُشيم بن بَشير وأبي عوانة كلهم عن أبي بِشر جعفر بن أبي وحشية عن سعيد بن جبير.

(١) من أسانيد ابن جرير المشهورة إلى شعبة قوله: حدثنا محمد بن بشار قال: حدثنا محمد بن جعفر عن شعبة، وهذا الإسناد يتكرر كثيرا في صحيح البخاري، ومحمد بن بشار الملقب بُندار من مشايخ أصحاب الكتب الستة، (ت ٢٥٢ هـ)، وابن بشار يروي كثيرا عن محمد بن جعفر الملقب غُندر (ت ١٩٣ هـ) الذي جالس شعبة نحو عشرين سنة، وشعبة بن الحجاج الواسطي ثم البصري، حافظ متقن، أمير المؤمنين في الحديث (ت ١٦٠ هـ)، سمع من أكثر من أربعمائة شيخ من التابعين، وعدد مروياته نحو عشرة آلاف حديث عن النبي ﷺ وعن الصحابة والتابعين. يُنظر ترجمته باختصار في كتابي: الحُفَّاظ الأربعون.

وهذه رواية منها: قال ابن جرير (٤/ ٣٤٧): حدثني يعقوب بن إبراهيم[١] قال: حدثنا هُشيم عن أبي بِشر عن سعيد بن جبير قال: (صلاة الوسطى: صلاة العصر).

ومثال النوع الثاني: تفسير علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وتفسير عطية العوفي عن ابن عباس، وتفسير الضحاك بن مزاحم، وتفسير مجاهد بن جبر، وتفسير عكرمة، وتفسير قتادة، وتفسير محمد بن كعب القرظي، وتفسير السدي، وتفسير زيد بن أسلم، وتفسير الربيع بن أنس، وتفسير الكلبي، وتفسير ابن جُريج، وتفسير عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وغيرها.

وهذه التفاسير كانت في عصر التابعين وأتباع التابعين مجموعة في نُسخٍ مشهورة، وكان يروي العلماء النسخة من أولها إلى آخرها بإسناد واحد، وهذه النُّسَخ يُعتمد عليها إن كان الراوي لها ليس متهما

(١) هو يعقوب بن إبراهيم الدورقي، ثقة من حفاظ الحديث، وهو أحد مشايخ أصحاب الكتب الستة، (ت ٢٥٢ هـ).

بالكذب، حتى لو كان أحد رواتها ضعيفا عند المحدثين؛ لأن المحدثين غالبا يقصدون بتضعيف الراوي تضعيفه في الحديث النبوي، أما إن كان مختصا بعلم ما كالقراءات أو التفسير أو التاريخ أو الشعر فيأخذون عنه العلم الذي اعتنى به، وإن كان ضعيفا في الحديث.

قال يحيى بن سعيد القطان (ت١٩٨هـ): "تساهلوا في أخذ التفسير عن قوم لا يوثِّقونهم في الحديث، ثم ذكر ليث بن أبي سليم، وجويبر بن سعيد، والضحاك، ومحمد بن السائب الكلبي، وقال: هؤلاء لا يُحمد أمرهم، ويُكتب التفسير عنهم"[(١)].

وفي قول الإمام الكبير يحيى القطان تنبيه مهم، وهو التساهل في قبول روايات التفسير، وإن كان بعض رواتها ضعيفا في الحديث، لا سيما الروايات الموجودة في نسخ التفسير المعروفة، فهي نسخٌ كتبها العلماء في القرن الأول أو الثاني الهجري، ونقلها عنهم من بعدهم،

(١) رواه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/ ١٩٤).

ففيها علم نافع، ولا بأس برد بعض الروايات التي فيها لمخالفتها للقرآن أو للسنة النبوية أو لغرابة القول ومخالفته لقول أكثر السلف وللمعروف في اللغة، أما الحكم على كل رواية من روايات التفسير كما يحكم على أسانيد الأحاديث النبوية، وتضعيف بعض أسانيد التفسير لكون بعض رواتها ضعيفا عند المحدثين أو لكونه لم يسمع ممن روى عنه التفسير الثابت عنه من طريق غيره؛ فهذا مخالف لمنهج العلماء من المفسرين والمحدثين، فهذا الإمام البخاري يعتمد في صحيحه على رواية علي بن أبي طلحة (ت١٤٣هـ) عن ابن عباس، مع أن ابن أبي طلحة لم يلق ابن عباس، ولم يسمع منه التفسير، لكن البخاري وغيره من العلماء قبلوا تفسيره؛ لأنه أخذ تفسير ابن عباس عن مجاهد، ثم أرسله عن ابن عباس، فنسخة تفسير ابن عباس التي أخذها ابن أبي طلحة عن مجاهد كان يرويها مباشرة عن ابن عباس، من غير أن يذكر مجاهدا بينهما، وهي نسخة كبيرة نافعة[1].

(١) يُنظر: ميزان الاعتدال للذهبي (٣/ ١٣٤).

وقد رد أبو جعفر النحاس على من يطعن في هذه النسخة فقال: "الذي يطعن في إسناده يقول: ابن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس، وإنما أخذ التفسير عن مجاهد وعكرمة، وهذا القول لا يوجب طعنا؛ لأنه أخذه عن رجلين ثقتين، وهو في نفسه ثقة صدوق، وحدثني أحمد بن محمد الأزدي قال: سمعت علي بن الحسين يقول: سمعت الحسين بن عبد الرحمن بن فهم يقول: سمعت أحمد بن حنبل يقول بمصر: كتاب التأويل عن معاوية بن صالح لو جاء رجل إلى مصر فكتبه ثم انصرف به ما كانت رحلته عندي ذهبت باطلا"[1].

وكذلك اعتمد الإمام البخاري في صحيحه على رواية عبد الله بن أبي نَجيح المكي (ت١٣١هـ) عن مجاهد، مع أن ابن أبي نجيح لم يسمع التفسير من مجاهد، لكن البخاري وغيره من العلماء قبلوا تفسيره؛ لأنه أخذ تفسير مجاهد عن القاسم بن أبي بزَّة، فابن أبي نجيح نسخ تفسير مجاهد من كتاب القاسم، ثم كان يروي نسخة

(١) الناسخ والمنسوخ (ص: ٧٥).

تفسير مجاهد عن شيخه مجاهد مباشرة من غير أن يذكر القاسم.

قال البخاري: "قال يحيى القطان: لم يسمع ابن أبي نجيح من مجاهد التفسير كله"[(١)].

وقال ابن حبان: "ما سمع التفسير عن مجاهد أحد غير القاسم بن أبي بزة، نظر الحكم بن عتيبة وليث بن أبى سليم وابن أبي نجيح وابن جريج وابن عيينة في كتاب القاسم، ونسخوه، ثم رووه عن مجاهد"[(٢)].

ومن أخطاء بعض المعاصرين أنه يضعف رواية في التفسير رواها ابن جرير مثلا من طريق شيخه محمد بن حميد الرازي، وهو حافظ ضعيف، ضعف المحدثون ما ينفرد به من أحاديث مرفوعة عن النبي ﷺ، أما رواياته في التفسير فهي مقبولة، لا سيما التي يروي بها نسخ التفسير المشهورة، فمثلا نسخة تفسير ابن أبي نجيح عن مجاهد،

---

(١) التاريخ الكبير (٥/ ٢٣٣).

(٢) مشاهير علماء الأمصار (ص: ٢٣١) بتصرف يسير.

رواها ابن جرير من طريق شيخه محمد بن حميد الرازي عن مهران عن سفيان الثوري عن ابن أبي نجيح، ورواها ابن جرير أيضا من طريق شيخيه محمد بن بشار وأبي كريب كلاهما عن عبد الرحمن بن مهدي ووكيع عن سفيان الثوري عن ابن أبي نجيح، ورواها ابن جرير من طرق كثيرة أخرى، فمن الخطأ الشنيع أن نضعف قولا لمجاهد موجود في هذه النسخة؛ بحجة أن ابن حُميد الرازي ضعيف!

ومثال آخر: تفسير عكرمة، يرويه ابن جرير بعدة أسانيد أشهرها قوله: حدثنا ابن حُميد قال: حدثنا يحيى بن واضح قال: حدثنا الحسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة، فقد يضعف هذا الإسناد بعض الغالطين بحجة أن في إسناده محمد بن حميد الرازي شيخ ابن جرير، مع أنه قد روى هذه النسخة أو بعضها كثير من الرواة عن الحسين بن واقد كابنه علي بن الحسين بن واقد، وعلي بن الحسن بن شقيق، وزيد بن الحباب، والفضل بن موسى، وغيرهم.

وبعض الغالطين قد يضعف هذه النسخة بدعوى أن في إسنادها

الحسين بن واقد المروزي، قاضي مرو، وهو ثقة، من رجال الإمام مسلم، لكن له أوهام في الحديث، وقد ضعف المحدثون أحاديثه التي أخطأ فيها، أما روايته لهذه النسخة في التفسير فهي مقبولة عند العلماء، ولم يذكروا أنه وهم فيها.

نعم، لا بأس بتضعيف رواية منكرة في التفسير تفرد بها الكلبي مثلا، فهو راو شيعي ضعيف جدا، وهو متهم بالكذب[1]، وكذلك لا

---

(١) مثال ذلك: قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [المائدة:٥٥]: "روى ابن مردويه من طريق محمد بن السائب الكلبي-وهو متروك-عن أبي صالح عن ابن عباس قال: خرج رسول الله ﷺ إلى المسجد، والناس يصلون، بين راكع وساجد وقائم وقاعد، وإذا مسكين يسأل، فدخل رسول الله ﷺ فقال: (أعطاك أحد شيئا؟)، قال: نعم. ذلك الرجل القائم وأشار إلى علي بن أبي طالب. قال: (على أي حال أعطاكه؟)، قال: وهو راكع، فكبر رسول الله ﷺ عند ذلك، وهو يقول: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة:٥٦]، وهذا إسناد لا يُفرح به. ثم رواه ابن مردويه من حديث علي بن أبي طالب ﷺ نفسه، وعمار بن ياسر، وأبي رافع. وليس يصح شيء منها بالكلية، لضعف أسانيدها، وجهالة رجالها". انتهى من تفسير ابن كثير (٣/ ١٣٨، ١٣٩) باختصار، فقد تفرد الكلبي برواية هذا الحديث الغريب عن ابن عباس، والمعروف عن ابن عباس أنه قال =

بأس بتضعيف أي رواية في متنها نكارة ولو كانت في نسخة تفسير مشهورة، لا سيما إن كانت تلك النسخة تُروى من طريق راو ضعيف كنسخة عطية العوفي عن ابن عباس، فعطية شيعي مدلس ضعيف عند كثير من أهل الحديث، أو كنسخة أبي روق عن الضحاك عن ابن

= في تفسير هذه الآية: (إنه من أسلم تولاه الله ورسوله والذين آمنوا)، رواه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما من طريق عبد الله بن صالح قال: حدثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وقد جاءت هذه القصة بعدة أسانيد فيها انقطاع أو ضعف، وهي من كذب الشيعة، فإن المراد بقوله: ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [المائدة:٥٥] وصفهم بإيتاء الزكاة وبالركوع، وليس المراد أنهم يؤدون الزكاة حال ركوعهم، فهي مثل قوله تعالى: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [آل عمران:١١٣]، فليس المراد أنهم يتلون آيات الله حال سجودهم، بل وصفهم بتلاوة القرآن في الليل وبالسجود، فالآية المذكورة عامة في كل المؤمنين، ويدل على أنها ليست خاصة بأحد أن الله سبحانه لم يقل: الذي يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة، فأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وفاطمة والحسن والحسين وجميع الصحابة وجميع المؤمنين والمؤمنات يدخلون في عموم هذه الآية، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة:٧١].

عباس التي تفرد بها بشر بن عمارة، وهو ضعيف جدا، وقد يكون الإسناد صحيحا إلى الصحابي أو التابعي، ويكون قوله الذي فسر به الآية خطأ، لمخالفته لآية أخرى أو حديث صحيح أو لتفرده بذلك القول أو لكونه اعتمد على رواية إسرائيلية أو لغير ذلك من الأسباب.

فعلماء الحديث المحققون ينظرون في الأسانيد والمتون، ولا إفراط عندهم ولا تفريط، ويشددون جدا في قبول الأحاديث المرفوعة عن النبي ﷺ، لا سيما ما كان منها في العقائد والحلال والحرام، ويتساهلون في قبول أقوال الصحابة والتابعين وأتباعهم، ولا يشددون في أسانيدها كما يشددون في الأحاديث المرفوعة، وقد يضعفون بعض الأسانيد التي يروى بها أقوال الصحابة ومن بعدهم لنكارة في متنها أو تفرد راو ضعيف بإسناد يخالف المعروف عن ذلك الصحابي أو التابعي، أو لسقط في الإسناد لا يُحتمل، وهم يعرفون طبقات الرواة، وأحوالهم وأخبارهم، ولهم نظر خاص في كل إسناد[1].

(١) من ذلك تفريق علماء الحديث بين ما يرويه ابن جُريج عن عطاء عن ابن عباس، فيما يتعلق =

إذن أول مرحلة من مراحل تدوين علم التفسير هي كتابة العلماء لأقوال الصحابة والتابعين وأتباعهم سواء كانت مبثوثة في كتب متفرقة، أو كانت مجموعة في نسخ مشهورة، ورواية كل ذلك بالأسانيد، من غير استيعاب تلك التفاسير لجميع آيات القرآن الكريم.

ومن أشهر كتب التفسير التي لم تستوعب جميع آيات القرآن في هذه المرحلة:

١) تفسير مجاهد بن جبر المكي (ت١٠٤هـ).

مجاهد بن جبر تلميذ ابن عباس هو أكثر من رُوي عنه التفسير من التابعين، وفي تفسير ابن جرير أكثر من خمسة آلاف رواية في التفسير عن مجاهد، غالبها من قوله، وبعضها من رواية مجاهد عن ابن عباس أو غيره من الصحابة والتابعين، وهذه الروايات يرويها ابن جرير من

= بتفسير سورة البقرة وآل عمران، فهو عطاء بن أبي رباح، فيكون الإسناد صحيحا، وبين ما يرويه ابن جُريج عن عطاء عن ابن عباس، فيما عدا تفسير سورة البقرة وآل عمران، فهو عطاء الخراساني، وهو لم يلق ابن عباس، فهو إسناد ضعيف، إلا أن يصرح ابن جريج بأنه عطاء بن أبي رباح. يُنظر: فتح الباري لابن حجر (٨/ ٦٦٧، ٦٦٨).

عدة طرق منها: من طريق شيخه محمد بن حميد الرازي عن حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد. ومن طريق شيخه أبي كُريب عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد. ومن طريق شيخه المثنى بن إبراهيم الآملي عن أبي حذيفة موسى بن مسعود عن شِبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد. ومن طريق شيخه محمد بن عمرو الباهلي عن أبي عاصم الضحاك بن مخْلَد النبيل عن عيسى بن ميمون عن ابن أبي نجيح عن مجاهد. ومن طريق شيخه محمد بن بشار عن عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان الثوري عن ليث بن أبي سُلَيم عن مجاهد.

٢) تفسير الضحاك بن مزاحم الخراساني (ت١٠٥هـ).

يروي ابن جرير تفسير الضحاك من عدة طرق منها: من طريق شيخه القاسم بن الحسن عن الحسين بن داود عن أبي تميلة عن عُبيد بن سليمان عن الضحاك. ومن طريق شيخه يعقوب عن هُشَيم عن جُويبر عن الضحاك. ويروي ابن أبي حاتم تفسير الضحاك من عدة

طرق، منها: من طريق أبيه عن سهل بن عثمان عن مروان الفزاري وعبد الله بن المبارك كلاهما عن جويبر عن الضحاك. ومن طريق شيخه أبي سعيد الأشج عن أبي خالد الأحمر عن جويبر عن الضحاك. ومن طريق شيخه أبي الأزهر النيسابوري فيما كتب له عن وهب بن جرير عن أبيه عن علي بن الحكم عن الضحاك. وتوجد طرق أخرى لتفسير الضحاك في تفسير يحيى بن سلَّام وتفسير عبد الرزاق وتفسير ابن المنذر وتفسير الثعلبي.

٣) تفسير زيد بن أسلم المدني (ت١٣٦هـ).

يروي ابن جرير تفسير زيد بن أسلم من عدة طرق، منها: من طريق شيخه يونس بن عبد الأعلى، عن عبد الله بن وهب، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه، وعن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم. ومنها: من طريق شيخه الحسن بن يحيى عن عبد الرزاق الصنعاني عن معمر عن زيد بن أسلم. ويرويه ابن أبي حاتم من عدة طرق، منها: من طريق شيخه يونس بن عبد الأعلى عن عبد الله بن وهب عن هشام بن

سعد عن زيد بن أسلم. وقد روى الثعلبي تفسير زيد بن أسلم من طريق ابن جرير الطبري، قال الثعلبي في أول تفسيره مبينا إسناده في تفسير زيد بن أسلم: أخبرنا الحسن بن محمد قراءة قال: أخبرنا أحمد بن كامل أن محمد بن جرير الطبري حدثهم: قال: حدثنا يونس بن عبد الأعلى الصدفي قال: أخبرنا عبد الله بن وهب قال: أخبرنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه.

٤) تفسير محمد بن السائب الكلبي الكوفي الشيعي (ت١٤٦هـ).

الكلبي كان عالما بالأخبار والأنساب والتفسير، لكنه في الحديث متروك، فقد روى أحاديث مناكير لم يتابعه على روايتها أحد، فاتهمه العلماء بالكذب، ولم يجوز بعض العلماء ذكره في الكتب مطلقا لكذبه، وبعض العلماء رضوه في التفسير خاصة من حيث الجملة، ونقلوا عنه في التفسير بعض الفوائد، كما تجد ذلك في تفسير يحيى بن سلَّام وتفسير ابن جرير وتفسير ابن المنذر[1]، وممن حدث عن

(١) يُنظر: الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي (٧/ ٢٨٤)، وميزان الاعتدال للذهبي (٣/ =

الكلبي: سفيان الثوري وسفيان بن عُيَينة وابن جريج وابن إسحاق ومعمر بن راشد وحماد بن سلمة وعبد الله بن المبارك وهشيم وغيرهم، لكن ما رواه الكلبي عن أبي صالح باذان عن ابن عباس فلا يصح، فأبو صالح لم ير ابن عباس، قال الإمام البخاري: "قال لنا علي ابن المديني: حدثنا يحيى بن سعيد عن سفيان الثوري قال: قال لي الكلبي: قال لي أبو صالح: كل شيء حدثتك فهو كذب!"[1]. وفي تفسير عبد الرزاق أكثر من (١٧٠) رواية من طريق معمر عن الكلبي، وفي تفسير ابن جرير نحو خمسين رواية فقط من طريق الكلبي، أما الثعلبي والواحدي فقد اعتمدا على تفسير الكلبي، وجعلاه من أصول تفسيريهما.

٥) تفسير ابن جُريج المكي (ت١٥٠هـ).

هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جُريج، إمام أهل الحجاز في

= ٥٥٩).

(١) التاريخ الكبير (١/ ١٠١).

عصره، وهو أول من صنف العلم في مكة، وتفسيره كبير، فقد بلغت عدد روايات ابن جُريج في تفسير ابن جَرير الطبري أكثر من ألفين وخمس مائة رواية، يرويها ابن جرير بأكثر من مائة طريق، غالبها: من طريق شيخه القاسم بن الحسن عن الحسين بن داود المصيصي عن حجاج بن محمد عن ابن جريج. ويرويها أيضا من طريق شيخه الحارث بن محمد بن أبي أسامة عن الحسن بن موسى الأشيب عن ورقاء عن ابن جريج. ويرويها أيضا من طريق شيخه الحسن بن محمد الزعفراني عن حجاج عن ابن جريج. ويرويها أيضا من طريق شيخه عباس بن محمد الدوري عن حجاج عن ابن جريج، وهذان الإسنادان الأخيران عاليان، فبين ابن جَرير وابن جُريج في كل واحد منهما راويان فقط. ويُروى تفسير ابن جُريج بطرق أخرى موجودة في تفسير ابن المنذر وابن أبي حاتم، أما عبد الرزاق الصنعاني فهو تلميذ ابن جريج، ويروي عنه مباشرة بلا واسطة، لكنه لم يكثر في تفسيره من الرواية عن ابن جُريج، أما في مصنفه فأكثر جدا من الرواية عنه، فعدد

روايات ابن جُريج في مصنف عبد الرزاق (٤٩٣٨) رواية.

٦) تفسير عبد الرزاق الصنعاني (ت٢١١هـ).

تفسير عبد الرزاق هو أشهر التفاسير القديمة التي لم تستوعب تفسير جميع آيات القرآن، وهو يشتمل على (٣٧٥٥) رواية، أكثرها من رواية عبد الرزاق عن شيخه مَعْمَر بن راشد البصري ثم الصنعاني (ت١٥٤هـ)، ومَعْمر هو أول من صنف العلم في اليمن، وقد رحل إليه كثير من أهل العلم ليسمعوا منه ما جمعه من الأحاديث النبوية وأقوال الصحابة والتابعين في التفسير وغير ذلك، وكان له كتاب جمع فيه رواياته في التفسير، وكان ينسخه طلابه ويقرؤونه عليه، قال عبد الرزاق الصنعاني: "رأيت عبد الله بن المبارك يقرأ على مَعْمر التفسير"[(١)]، وعدد الروايات في تفسير عبد الرزاق من طريق مَعْمر (٢٩١٢)، غالبها عن مَعْمر عن قتادة، فأكثر من ثلاثة أرباع تفسير عبد الرزاق من طريق مَعْمر عن قتادة، وزيد بن أسلم، والكلبي، وغيرهم.

---

(١) تفسير عبد الرزاق الصنعاني (١/ ٣٤٥).

ويروي عبد الرزاق أيضا عن مشايخه سفيان الثوري وسفيان بن عيينة وابن جُريج كثيرا من روايات التفسير التي جاءت من طريقهم عن الصحابة والتابعين[١]، سواء ما كان مجموعا في نُسخة[٢]، أو لم يكن مجموعا في نُسخة[٣]. وكثير من الروايات التي في النسخ تكون

(١) في تفسير عبد الرزاق الصنعاني أكثر من مائتي رواية عن ابن عباس، ونحو مائتي رواية عن مجاهد بن جبر، وفيه نحو ألف وتسعمائة (١٩٠٠) رواية عن قتادة، غالبها رواها عبد الرزاق عن معمر عن قتادة.

(٢) مثاله: قال عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٥): عن سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ﴾ [المائدة:٤٤] قال: (هم الفقهاء العلماء)، فهذه الرواية من نسخة تفسير ابن أبي نجيح.

(٣) مثاله: قال عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٤٧٥): عن قيس بن الربيع عن عاصم عن شقيق قال: (الصمد: السيد الذي قد انتهى في سؤدده)، فهذه الرواية لا تروى بنسخة واحدة، فعاصم بن أبي النَّجود لم يجمع تفسير شيخه أبي وائل شقيق بن سلمة في نسخة واحدة تُروى عنه، ولعاصم روايات كثيرة في التفسير، منها ما رواه عن أبي وائل وزر بن حُبيش من قولهما أو عنهما عن عبد الله بن مسعود، ولم يجمع طلاب عاصم تفسيره في نسخة واحدة تروى عنهم عن عاصم، وإنما هي روايات متفرقة.

مروية أيضا بأسانيد أخرى من غير طريق تلك النسخة[1].

المرحلة الثانية: كتابة تفسير القرآن كاملا بالاعتماد على روايات التفسير واللغة العربية.

في هذه المرحلة ظهر كتابان مشهوران يستوعبان جميع آيات القرآن الكريم، وهما:

١) تفسير مقاتل بن سليمان البلخي ثم البصري (ت١٥٠هـ).

قال الإمام الشافعي: "الناس في التفسير عيال على مقاتل بن سليمان"[2]. وقد جاء في أول تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٢٥، ٢٦) أسماء المفسرين من التابعين وأتباعهم الذين جمع مقاتل تفسيره من

---

(١) مثاله: قال ابن جرير في تفسيره (٢٤/ ٧٣٢): حدثنا محمد بن بشار قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ووكيع قالا: حدثنا سفيان الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: (الصمد: الذي لا جوف له). فهذه الرواية في نسخة ابن أبي نجيح عن مجاهد، ولها طرق أخرى من غير طريق نسخة ابن أبي نجيح، منها: قال عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٤٧٥): أخبرنا قيس بن الربيع عن منصور عن مجاهد قال: (الصمد: الذي لا جوف له).

(٢) رواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١٥/ ٢٠٧) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٠/ ١١٦، ١١٧).

رواياتهم، وهم ثلاثون رجلا: عطاء بن أبي رباح، والضحاك بن مزاحم، ونافع مولى ابن عمر، ومحمد بن شهاب الزهري، ومحمد بن سيرين، وابن أبي مليكة، وشهر بن حوشب، وعكرمة، وعطية الكوفي، وأبو إسحاق السبيعي، والشعبي، ومحمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وقتادة بن دعامة، وسليمان بن مهران الأعمش، وحماد بن أبي سليمان، وإسماعيل بن أبي خالد، وابن طاوس اليماني، وعبد الكريم وعبد القدوس صاحبي الحسن، وأبو روق، وابن أبي نجيح، وليث بن سليم، وأيوب، وعمرو بن دينار، وداود بن أبي هند، والقاسم بن محمد، وعمرو بن شعيب، والحكم بن عتبة، وهشام بن حسان، وسفيان الثوري.

٢) تفسير يحيى بن سلَّام البصري ثم القيرواني (ت٢٠٠هـ).

غالب الروايات في تفسير يحيى بن سلام هي عن الحسن البصري وقتادة والسدي ومجاهد والكلبي وعكرمة.

وهذان التفسيران: تفسير مقاتل بن سليمان وتفسير يحيى بن سلَّام

هما أقدم ما وصل إلينا من التفاسير المستوعبة لجميع القرآن الكريم، وتفسير مقاتل مطبوع كاملا في خمسة مجلدات بتحقيق عبد الله شحاته، وله طبعة أخرى في ثلاثة مجلدات بتحقيق أحمد فريد، أما تفسير يحيى بن سلَّام فليس موجودا كاملا، فالموجود منه من أول سورة النحل إلى آخر سورة الصافات فقط، وهذا القدر الموجود مطبوع في مجلدين بتحقيق هند شلبي، وقد هذب تفسير يحيى بن سلام الإمام محمد بن عبد الله بن أبي زمَنِين القرطبي (ت٣٩٩هـ)، فحفظ بتهذيبه جميع تفسير يحيى بن سلام، فإنه حذف أسانيد يحيى، وحذف المكرر منه، وما زاده على تفسير يحيى بن سلام بينه بقوله: قال محمد، وتفسير ابن أبي زمَنِين مطبوع في خمسة مجلدات.

المرحلة الثالثة: تدوين المحدثين للتفسير في كتب الحديث.

حين صنف المحدثون كتب الحديث عقد بعضهم في كتبهم المصنفة بابا أو كتابا خاصا بالتفسير، ذكروا فيه بعض الروايات عن النبي ﷺ وعن الصحابة والتابعين مما يتعلق بتفسير بعض الآيات

القرآنية، ومن ذلك:

١) **كتاب تفسير القرآن المطبوع باسم تفسير سعيد بن منصور** (ت٢٢٧هـ)، وهو جزء من سنن سعيد بن منصور، وهو غير مكتمل، فالمطبوع من كتاب التفسير خمسة مجلدات تنتهي بسورة الرعد.

٢) **كتاب التفسير في صحيح البخاري** (ت٢٥٦هـ)، وهو أكبر كتب صحيح البخاري المشتمل على ٩٧ كتابا، ففي كتاب التفسير خمس مائة حديث، مما هو تفسير صريح عن النبي ﷺ أو تفسير غير صريح من السنن القولية والفعلية المبينة لكتاب الله، أو ما يتعلق بأسباب النزول، مع ذكر أقوال بعض الصحابة والتابعين وأئمة اللغة في تفسير غريب القرآن، وقد أكثر البخاري في تفسيره من الاعتماد على تفسير مجاهد بن جبر، واعتمد في غريب القرآن على أبي عُبيدة مَعْمَر بن المثَنَّى البصري اللغوي المشهور (ت٢٠٩هـ).

٣) **كتاب أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ في سنن الترمذي**

(ت٢٧٩هـ)، وهو كتاب يشتمل على أكثر من ٤٠٠ رواية في التفسير غالبها عن النبي ﷺ.

٤) **كتاب التفسير في سنن النسائي الكبرى** (ت٣٠٣هـ)، وهو كتاب كبير، اشتمل على ٧٣٩ رواية، غالبها مرفوع عن النبي ﷺ، وبعضها موقوف عن الصحابة رضي الله عنهم.

٥) **كتاب التفسير في المستدرك على الصحيحين للحاكم** (ت٤٠٥هـ)، وهو كتاب كبير، وقد ذكر أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري الملقب بالحاكم في أول كتاب التفسير القراءات المروية عن النبي ﷺ، واشتمل كتاب التفسير في مستدرك الحاكم على (١١١٩) رواية، منها المرفوع والموقوف.

المرحلة الرابعة: كتب معاني القرآن التي ألفها علماء اللغة والنحو، ويغلب عليها الاعتماد على اللغة العربية والإعراب

هذه الكتب تسمى كتب المعاني، وهي غالبا لا تستوعب جميع القرآن، ومن ذلك:

معاني القرآن للكسائي الكوفي (ت١٨٩هـ)، ومعاني القرآن لمحمد بن المستنير البصري المعروف بقطرب (ت٢٠٦هـ)، ومعاني القرآن للفراء الكوفي (ت٢٠٧هـ)، ومجاز القرآن ومعاني القرآن كلاهما لأبي عبيدة معمر بن المثنى البصري (ت٢٠٩هـ)، ومعاني القرآن للأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة البصري (ت٢١٥هـ)، ومعاني القرآن وإعراب القرآن كلاهما لمحمد بن يزيد البصري المعروف بالمبرد (ت٢٨٥هـ)، ومعاني القرآن وإعراب القرآن كلاهما لأحمد بن يحيى الكوفي المعروف بثعلب (ت٢٩١هـ)، ومعاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج البغدادي (ت٣١١هـ)، ومعاني القرآن وإعراب القرآن كلاهما لابن النحاس المصري (ت٣٣٨هـ).

المرحلة الخامسة: كتب غريب القرآن.

هذه الكتب تسمى كتب الغريب، ويقتصر مؤلفوها على تفسير الكلمات الغريبة فقط، ومن كتب غريب القرآن:

غريب القرآن لأبان بن تغلب الكوفي (ت١٤١هـ)، وغريب القرآن

لمؤرِّجُ السدوسي (ت١٩٥هـ)، وغريب القرآن للنَّضر بن شُمَيل (ت٢٠٣هـ)، وغريب القرآن لابن السِّكِّيت (ت٢٤٤هـ)، وغريب القرآن لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّيْنَوَري (ت٢٧٦هـ)، وغريب القرآن لأحمد بن يحيى الكوفي المعروف بثعلب (ت٢٩١هـ)، وغريب القرآن المسمى بنزهة القلوب لمحمد بن عُزير السجستاني (ت٣٣٠هـ)، وغريب القرآن لأبي عمر الزاهد محمد بن عبد الواحد البغدادي المشهور بغلام ثعلب (ت٣٤٥هـ).

المرحلة السادسة: تفسير ابن جرير الطبري.

هذه مرحلة مهمة جدا في تدوين علم التفسير، وهي تدوين شيخ المفسرين والمؤرخين الإمام المجتهد الفقيه المقرئ اللغوي النحوي محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) لتفسيره الكبير الذي نسخ به غالب التفاسير السابقة، واستفاد من تفسيره كل من جاء بعده، وقد فسر ابن جرير جميع القرآن آية آية من أوله إلى آخره بالروايات عن النبي ﷺ، وعن الصحابة والتابعين وأتباعهم، وتجنب التفسير بالرأي،

وقد نقل ابن جرير من أكثر الكتب التي تقدمته في تفسير القرآن بالمأثور، وكتب معاني القرآن التي ألفها اللغويون، فكان تفسيره كالشمس التي تخفي النجوم، ولم يكتف ابن جرير بتفسير الآيات بالروايات، بل تكلم في الآيات باللغة والنحو، وهو يرجح في تفسيره بين أقوال المفسرين واللغويين، ويذكر القراءات القرآنية، والأحكام الفقهية المذكورة في القرآن الكريم.

وابن جرير جعل عنوان تفسيره (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، وهو مشهور باسم تفسير بن جرير الطبري، مطبوع في ٢٤ مجلدا، وفيه (٣٨٣٩٧) ثمانية وثلاثون ألفا وثلاث مائة وسبعة وتسعون رواية في التفسير، أي: ما يقارب أربعين ألف رواية، يرويها ابن جرير كلها بأسانيده عن النبي ﷺ، أو عن الصحابة، أو عن التابعين وأتباعهم.

فابن جرير واسع الرواية جدا، فقد استمرت رحلته في طلب العلم نحو خمسية عشر سنة، وبلغ عدد شيوخه الذين كتب عنهم الحديث

والتفسير أربعمائة شيخ، ومن أشهر شيوخه الإمام البخاري، وقد سمع ابن جرير من بعض مشايخ البخاري مثل: محمد بن بشار ومحمد بن المثنى وأبي كريب محمد بن العلاء الهمداني ويعقوب بن إبراهيم الدورقي وغيرهم.

وأكثر من روى عنهم ابن جرير في تفسيره من مشايخه: المثنى بن إبراهيم الآملي، روى من طريقه نحو (٣٢٢٠) رواية، ومحمد بن حميد الرازي، روى من طريقه نحو (٢٨٥٠) رواية، ويونس بن عبد الأعلى الصَّدَفي المصري، روى من طريقه نحو (٢٣٥٠) رواية[١]، والقاسم بن الحسن، روى من طريقه نحو (٢٣٧٠) رواية[٢]، ومحمد بن عمرو الباهلي، روى من طريقه نحو (١٩٢٠) رواية، وأبو كُريب محمد بن العلاء، روى من طريقه نحو (١٦٢٠) رواية.

وابن جرير كان كغيره من علماء الحديث يكتبون ما يسمعونه من

(١) غالبها من طريق يونس عن ابن وهب.

(٢) كلها من طريق القاسم عن الحسين بن داود الملقَّب سُنَيد.

روايات شيوخهم في الدفاتر، وحين ألف كتابه التفسير نقل تلك الروايات من دفاتره، ووضعها في مواضعها المناسبة لها في تفسيره[1].

المرحلة السابعة: كتب التفسير الخالية من ذكر الأسانيد.

في القرن الرابع الهجري وما بعده ظهرت تفاسير يذكر مؤلفوها أقوال المفسرين السابقين بلا أسانيد، اكتفاء بذكر الأسانيد في كتب من سبقهم من المصنفين، ومن تلك الكتب:

بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي (ت٣٧٣هـ)، والنكت والعيون للماوردي (ت٤٥٠هـ)، والتفسير البسيط والوسيط والوجيز ثلاثتها للواحدي (ت٤٦٨هـ)، وتفسير السمرقندي والتفسير الوسيط للواحدي مع عدم ذكرهما أسانيد أقوال المفسرين من الصحابة والتابعين إلا أنهما ذكرا بعض أسانيدهما لبعض الأحاديث المرفوعة عن النبي ﷺ، لا سيما الواحدي في تفسيره الوسيط، ثم تتابعت

(١) يُنظر مقال: دقة الإمام محمد بن جرير الطبري وأمانته العلمية في تفسيره، ومقال: محمد بن جرير الطبري، كلاهما للمؤلف، وهما منشوران في موقع الألوكة.

التفاسير التي لا يذكر أصحابها أسانيدهم عند ذكر أقوال المفسرين اكتفاء بوجودها في كتب التفسير المسندة، إلا أنه دخل في التفاسير المجردة من الأسانيد كثير من الأقوال التي لا أصل لها أو لها أسانيد معروفة تالفة أعرض عنها شيخ المفسرين ابن جرير في تفسيره، وكتبها بعض المفسرين الذين لا يتحرون في الرواية كالثعلبي (ت٤٢٧هـ) الذي ذكر في تفسيره المسمى (الكشف والبيان عن تفسير القرآن) كثيرا من الروايات المكذوبة عن النبي ﷺ وعن الصحابة والتابعين، بأسانيد ذكرها في أول الكتاب وأحال إليها، وفيها رواة وضاعون، وساق الثعلبي في أول تفسير كل سورة الحديث الطويل الموضوع في فضائل سور القرآن سورة سورة، ثم جاء بعده تلميذه الواحدي فاعتمد تلك الروايات التي لا تصح عن الصحابة والتابعين، وساقها في تفسيريه البسيط والوسيط من غير إسناد، وخلطها مع الروايات الصحيحة والمشهورة من غير تمييز بينها، وذكر في تفسيره الوسيط الحديث الموضوع في فضائل سور القرآن سورة سورة تبعا لشيخه

الثعلبي، وتتابع كثير من المفسرين بعدهما على ذكر أقوال التفسير المعروفة والأقوال التي لا أصل لها، فمن ذلك أن الثعلبي اعتمد على رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وهي رواية لا تصح، فالكلبي متهم بالكذب، وأبو صالح كذاب، وهو لم يلق ابن عباس، ومع هذا ففي تفسير الثعلبي أكثر من (٥٨٠) رواية عن الكلبي، وكذلك اعتمد الثعلبي على رواية موسى بن عبد الرحمن الصنعاني عن ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس، وموسى بن عبد الرحمن الصنعاني كذاب، قال عنه الذهبي: "دجال، قال ابن حبان: وضع على ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس كتابا في التفسير"[(١)]. وكذلك اعتمد الثعلبي على بعض الروايات التي رواها وضاعون أو متروكون عن الضحاك والحسن البصري والسدي وغيرهم، وتبعه على نقلها والاعتماد عليها تلميذه الواحدي، ثم تتابع المفسرون بعد الثعلبي والواحدي على نقل تلك الروايات من غير تمييز بين ما له

(١) ديوان الضعفاء والمتروكين (ص: ٤٠٢).

أصل منها وما لا أصل له، ولا يعني هذا التهوين بتفسيري الثعلبي والواحدي، فهما تفسيران مهمان، وإنما ذكرنا ما وقع فيهما من خلل في جمع الروايات ليتنبه لذلك الطالب، ثم إنه ليس كل ما ذكراه من تفسير الكلبي مثلا خطأ، فمنه ما يقوله من غير رواية، ويكون تفسيرا صحيحا من جهة اللغة العربية، ففرق بين ما يرويه الضعيف وبين ما يقوله تفسيرا من غير رواية، فما يرويه عن غيره نشك في ثبوته عنه، فحين يروي الكلبي مثلا عن أبي صالح عن ابن عباس، فهذا القول لا يصح نسبته إلى ابن عباس؛ لأنه لا يُعرف عنه بغير هذا الإسناد التالف، وأما لو قال الكلبي ذلك القول تفسيرا للآية، فإن كان الذي رواه عنه ثقة فهو قول ثابت عن الكلبي، وقد يكون صحيحا في تفسير الآية إن كانت الآية تحتمل ذلك من جهة اللغة العربية.

المرحلة الثامنة: كتب أحكام القرآن.

هذه المرحلة قديمة، بدأت منذ القرن الثالث الهجري، ومن كتب أحكام القرآن:

أحكام القرآن لعلي بن حُجْر السَّعدي (ت٢٤٤هـ)، وأحكام القرآن لداود بن علي الظاهري (ت٢٧٠هـ)، وأحكام القرآن للقاضي إسماعيل بن إسحاق الجَهضمي البغدادي المالكي (ت٢٨٢هـ)، وأحكام القرآن لأبي جعفر الطَّحاوي المصري (ت٣٢١هـ)، وأحكام القرآن للجَصَّاص (ت٣٧٠هـ)، وهو أشهر كتب أحكام القرآن في الفقه الحنفي، وأحكام القرآن للكِيا الهرَّاسي (ت٥٠٤هـ)، وهو أشهر كتب أحكام القرآن في الفقه الشافعي، وأحكام القرآن لأبي بكر بن العربي (ت٥٤٣هـ)، وهو أشهر كتب أحكام القرآن في الفقه المالكي، ثم جاء أبو عبد الله القرطبي المالكي (ت٦٧١هـ) فألف كتابه العظيم الجامع في أحكام القرآن، المسمى تفسير القرطبي، وهو أعظم كتب أحكام القرآن على الإطلاق، ومن أكثر كتب التفسير فائدة، فهو تفسير جامع لآيات القرآن جميعا، ومعظم اعتماده في تفسير آيات الأحكام على كتاب أحكام القرآن لابن العربي، مع الاستفادة من كتابَي: الجصاص والكيا الهراسي، ويتميز القرطبي في تفسيره أنه يرجح ما يراه راجحا،

ويتعقب ما يراه مرجوحا، وإن خالف مذهب المالكية[١]، وذكر في كتابه أسباب النزول، والقراءات، واللغات، ووجوه الإعراب، وتخريج الأحاديث، وبيان غريب الألفاظ، فهو من أجل كتب التفسير، وله أثر عظيم فيمن جاء بعده.

المرحلة التاسعة: تفاسير أهل البدع

بعد ظهور الفرق المبتدعة الضالة[٢] تتابع المصنفون من جميع الفرق والطوائف على التصنيف في علم التفسير بما يؤيد مذاهبهم، ويضعف أقوال مخالفيهم، وغالب تفاسير المبتدعة لا يُعتمد عليها لكثرة ما فيها من الباطل والخطأ والوهم والتلبيس، لا سيما تفاسير الرافضة، وقليل من تفاسير أهل البدع فيها علم نافع يُعتمد عليها فيما اشتملت عليه من الصواب، مع الحذر من الباطل الذي خالط الحق

---

(١) يُنظر: قصة نشأة المذاهب الفقهية وسبب انتشارها دون غيرها، كتاب للمؤلف منشور في موقع الألوكة.

(٢) يُنظر: قصة نشأة الفرق في الإسلام، مقال للمؤلف منشور في عدة صفحات في الفيس بوك.

الذي فيها، كتفسير الكشاف للزمخشري المعتزلي (ت٥٣٨هـ)، والتفسير الكبير للفخر الرازي الأشعري (ت٦٠٦هـ).

المرحلة العاشرة: تفاسير المتأخرين والمعاصرين

كثير من تفاسير المتأخرين والمعاصرين[1] هي جوامع ومختصرات، وبعضها حواش على تفاسير، وهذه التفاسير جمعها كثير من المفسرين المحققين بتوسع أو اختصار، مع اختيار الراجح من الأقوال، وذكر استنباطات جديدة، وبعضهم يعرض التفسير بأساليب

(١) لا يوجد زمن محدد يفصل المتأخرين عن المتقدمين، فهو اصطلاح تقريبي، فعلماء القرون الثلاثة الأولى من المتقدمين بلا شك، ومن كان قريبا من عصرهم يعتبر من المتقدمين بالنسبة إلينا، وإن كان من المتأخرين بالنسبة إلى أهل القرون الثلاثة الأولى، وقد جعل الحافظ ابن حجر الحد الفاصل بين المتقدمين والمتأخرين سنة ٥٠٠ للهجرة، فأهل القرن السادس ومن بعده يعتبرون من المتأخرين، فمثلا البغوي (ت ٥١٦ هـ)، والنووي (ت ٦٧٦ هـ)، وابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ)، والشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، من المتأخرين، وأما المعاصرون فهم الذين عاصرناهم أو عاصرهم شيوخنا، كالسعدي (ت ١٣٧٦هـ) والشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ) وابن عثيمين (ت ١٤٢١هـ). يُنظر: التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية للصغاني (٣/ ١١٧)، ميزان الاعتدال للذهبي (١/ ٤٨)، والنكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر (٢/ ٥٨٦).

مبتكرة، وبعض المعاصرين يجمع أقوال أحد المفسرين من كتبه المتفرقة، أو دروسه المسجلة، وبعض تفاسير المعاصرين تفسير موضوعي يتعلق بموضوع معين، وتفاسير المتأخرين والمعاصرين متفاوتة في الرتبة، فمنها تفاسير محررة لا يُستغنى عنها، ومنها تفاسير اقتصرت على الاختصار والتهذيب لتفسير معين، ومنها تفاسير اشتملت على النقل المحض، أو التلخيص والتهذيب والتقريب، من غير ترجيح بين الأقوال، ولا استنباط معان جديدة تحتملها الآيات، ومع ذلك فكثير منها تفاسير مفيدة جدا للعامة والمبتدئين، ومن أشهر هذه التفاسير النافعة المحررة:

تفسير الحافظ ابن كثير (ت٧٧٤هـ)، وكذلك مختصراته الكثيرة، ومنها: تفسير الشوكاني (ت١٢٥٠هـ) المسمى (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية)، ومنها: تفسير الآلوسي (ت١٢٧٠هـ) المسمى (روح المعاني)، ومنها: تفسير السعدي (ت١٣٧٦هـ)، ومنها: تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور (ت١٣٩٣هـ)، ومنها: أضواء البيان للشنقيطي (ت١٣٩٣هـ)، والعذب النمير من مجالس

الشنقيطي في التفسير، الذي تم جمعه من دروس الشنقيطي في التفسير، وقد تضمن فوائد كثيرة غير موجودة في كتابه أضواء البيان، ومنها: تفسير ابن عثيمين (ت١٤٢٠هـ)، تم جمعه من دروس ابن عثيمين.

ومن أعظم الكتب النافعة الجامعة لكلام المفسرين المتأخرين ما جمعه إياد القيسي في كتاب أسماه: (تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية الجامع لكلام ابن تيمية في التفسير)، مطبوع في ٧ مجلدات.

وكذلك ما جمعه علي الصالحي في كتاب أسماه: (الضوء المنير على التفسير)، جمعه من كتب ابن القيم (ت٧٥١هـ)، وهو مطبوع في ٧ مجلدات.

ومن أشهر حواشي التفاسير:

حاشية الطِّيبي (ت٧٤٣هـ) على تفسير الكشاف، وحاشية الخَفَاجِي (ت١٠٦٩هـ) على تفسير البيضاوي، وحاشية القُونوي (ت١١٩٥هـ) على تفسير البيضاوي، وحاشية الجمل (ت١٢٠٤هـ) على تفسير الجلالين.

أقدم كتب التفسير ومعاني القرآن وإعرابه وأحكامه

كتب التفسير ومعاني القرآن وإعرابه وأحكامه القديمة كثيرة جدا، نجد ذكرها في تراجم الرواة، وكتب طبقات التفسير، وكتب أسماء الكتب والمؤلفين، وكثير من كتب التفسير القديمة مفقود، ولا يضر ذلك، فالمصنفون في التفسير كان يستفيد بعضهم من بعض، وينقل اللاحق من كتاب السابق، وغالب التفاسير القديمة المسندة رواها المتأخرون عن المتقدمين، وكثير منها نقل محض، من غير ترجيح ولا نقد، وإنما هم نَقَلة للتفسير بالروايات، فأتى شيخ المفسرين محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) فضم مروياتهم إلى تفسيره، فصار تفسيره ناسخا لكثير من كتب التفسير التي كانت قبله[1]، وحين صارت تلك الكتب القديمة محفوظة في تفسير ابن جرير بأسانيد ابن

(١) هي ستة وعشرون كتابا. يُنظر: معجم شيوخ الطبري لأكرم الفالوجي (ص: ٤٣).

جرير لم ينشط العلماء لكتابتها وروايتها، فقد أغناهم عن ذلك روايتهم لتفسير ابن جرير عن ابن جرير نفسه أو عن أحد تلاميذه أو عن تلاميذ تلاميذه، وهلم جرا؛ لأن ابن جرير روى غالب ما في تلك الكتب القديمة من طرق مؤلفيها[1]، وكذلك فعل عبد الرحمن بن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ) في تفسيره، وهو معاصر لابن جرير، فقد ضم كثيرا من نسخ التفسير التي كانت تُروى قبله، مثل تفسير مجاهد بن جبر وتفسير الضحاك بن مزاحم وتفسير زيد بن أسلم وتفسير الكلبي وتفسير ابن جريج، وقد تقدم ذكر هذه النسخ المشهورة في المرحلة الأولى من مراحل تدوين علم التفسير.

(١) فمثلا تفسير عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يرويه ابن جرير في تفسيره عن شيخه يونس بن عبد الأعلى عن عبد الله بن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وقد روى ابن جرير تفسير عبد الرحمن بن زيد كاملا في تفسيره، وبلغ عدد الروايات من طريق يونس عن ابن وهب عن ابن زيد (٢١٠٠) رواية، وهذه رواية منها: قال ابن جرير (١/ ١٧٥): حدثني يونس بن عبد الأعلى قال: حدثنا ابن وهب قال: قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة:٦]: (الإسلام).

ومن نسخ التفسير المشهورة أيضا:

١) **نسخة تفسير معاوية بن صالح** (ت١٥٨هـ) التي يرويها عن ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وهي نسخة كبيرة، توجد مفرقة في كل من تفسيرَي ابن جرير وابن أبي حاتم بحسب الآيات، وهذه رواية منها: قال ابن جرير (٣/ ٢٩١): حدثني علي بن داود قال: حدثنا أبو صالح قال: حدثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ﴾ [البقرة:١٩٠] يقول: (لا تقتلوا النساء، ولا الصبيان، ولا الشيخ الكبير، ولا من ألقى إليكم السلم وكف يده، فإن فعلتم هذا فقد اعتديتم)، وروى ابن أبي حاتم الرازي نفس هذه الرواية (١/ ٣٢٥) فقال: حدثني أبي قال: حدثنا أبو صالح قال: حدثني معاوية بن صالح، ... الخ، وهذه النسخة أصح النسخ التي يُروى بها تفسير ابن عباس، وقد اعتمد عليها الإمام البخاري في صحيحه[(١)].

(١) وتوجد روايات كثيرة عن ابن عباس أصح من رواية علي بن أبي طلحة، وهي روايات =

٢) **نسخة تفسير عطية العوفي الكوفي** (ت١١١هـ) التي يرويها عن ابن عباس، وهي نسخة كبيرة، رواها ابن جرير وابن أبي حاتم بإسنادها المشهور المسلسل بالعوفيين، وكلهم ضعيف في الحديث، يقول ابن جرير: حدثني محمد بن سعد قال: حدثني أبي قال: حدثني عمي الحسين بن الحسن عن أبيه عن جده عطية العوفي عن ابن عباس، وكذلك يرويها ابن أبي حاتم عن محمد بن سعد بن محمد بن الحسن بن عطية العوفي فيما كتب له، وقد بلغ عدد روايات عطية العوفي عن ابن عباس في تفسير ابن جرير نحو (١٣٧٠) رواية، وغالبها معانيها مقبولة، وفي بعضها غرابة.

٣) **نسخة تفسير عطاء بن دينار المصري** (ت١٢٦هـ) التي يرويها عن

= متفرقة ليست مجموعة في نسخة واحدة، منها ما يرويه ابن جرير من طريق الأعمش عن المنهال بن عمرو ومسلم البَطين وعمرو بن مرة كلهم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، ومنها ما يرويه ابن جرير من طريق منصور بن المعتمر عن مجاهد عن ابن عباس، ومنها ما يرويه ابن جرير من طريق عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس، ومنها ما يرويه ابن جرير من طريق عبد الله بن طاووس وغيره عن طاووس بن كيسان عن ابن عباس، وغيرها كثير.

سعيد بن جبير، وهي نسخة فيها أكثر من أربع مائة رواية، روى غالبها ابن أبي حاتم في تفسيره بإسناده المشهور: حدثنا أبو زُرعة قال: حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير قال: حدثني عبد الله بن لهيعة قال: حدثني عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير، وهذه النسخة اعتمد عليها ابن أبي حاتم في تفسيره، وإن كانت مروية من طريق ابن لهيعة الذي ضعف روايته في الحديث أبو حاتم وأبو زرعة؛ لكن هذه النسخة مقبولة لأنها نسخة مكتوبة في التفسير وليست أحاديث نبوية، وقد نقلها ابن لهيعة وغيره عن عطاء بن دينار، قال ابن أبي حاتم الرازي: "سُئل أبي عن عطاء بن دينار فقال: هو صالح الحديث، إلا أن التفسير أخذه من الديوان، فإن عبد الملك بن مروان كتب يسأل سعيد بن جبير أن يكتب إليه بتفسير القرآن، فكتب سعيد بن جبير بهذا التفسير إليه، فوجده عطاء بن دينار في الديوان، فأخذه فأرسله عن سعيد بن جبير"[1].

(١) الجرح والتعديل (٦/ ٣٣٢). ويُنظر تضعيف أبي زرعة وأبي حاتم لعبد الله بن لهيعة في كتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٥/ ١٤٦، ١٤٧).

٤) **نسخة تفسير أبي رَوْق عطية بن الحارث الهمداني** (تبعد سنة ١٤٠هـ) التي يرويها عن الضحاك بن مُزاحِم عن ابن عباس، وبعضها عن الضحاك من قوله، رواها ابن جرير بعدة أسانيد أشهرها قوله: حدثنا أبو كُرَيب محمد بن العلاء الهمداني قال: حدثنا عثمان بن سعيد قال: حدثنا بِشْر بن عُمَارة قال: حدثنا أبو روق عن الضحاك عن عبد الله بن عباس، وكذلك يرويها ابن أبي حاتم عن علي بن طاهر عن أبي كُريب بنفس إسناد ابن جرير، وقد أكثر ابن أبي حاتم من رواية نسخة أبي روق بإسناد آخر وهو قوله: حدثنا أبو زرعة حدثنا مِنجاب بن الحارث قال: حدثنا عثمان بن سعيد الزيات قال: حدثنا بشر بن عمارة قال: حدثنا أبو روق عن الضحاك عن ابن عباس، وقد بلغ عدد روايات أبي روق عن الضحاك قوله أو عن الضحاك عن ابن عباس في تفسير ابن جرير نحو (١٧٠) رواية، وفي تفسير ابن أبي حاتم نحو (٤٠٠) رواية، لكن هذه النسخة في إسنادها ضعف، وفي بعض متونها نكارة وغرابة، فبِشر بن عمارة ضعيف جدا.

٥) **نسخة تفسير قتادة بن دعامة البصري** (ت١١٧هـ)، وُلِد قتادة رحمه الله وهو أعمى، وكان من كبار حفاظ الحديث في عصره، ومن كبار مفسري التابعين، ولم يجمع تفسيره بنفسه، ولكن كتب عنه التفسير طلابه، ومن أشهرهم: سعيد بن أبي عَرُوبة، ومَعْمر بن راشد، وغالب تفسير عبد الرزاق الصنعاني هو عن مَعْمر عن قتادة، ففيه أكثر من (١٧٠٠) رواية عن معمر عن قتادة، وقد تضمن تفسير ابن جرير (٥٧٠٠) رواية عن قتادة من قوله أو روايته، بعضها من طريق معمر، وبعضها من طريق سعيد بن أبي عَروبة[١]، وبعضها من طريق غيرهما، وكثير منها أحاديث نبوية رواها ابن جرير من طريق قتادة عن الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه أو عن بعض التابعين عن الصحابة.

---

(١) روى ابن جرير بإسناد واحد نسخة كبيرة جدا من تفسير قتادة، وهو هذا الإسناد: حدثنا بِشر بن معاذ العَقَدي قال: حدثنا يزيد بن زُرَيع قال: حدثنا سعيد بن أبي عَروبة عن قتادة، وعدد الروايات عن قتادة بهذا الإسناد فقط (٣٤٢٣) رواية، وروى ابن جرير من طريق معمر عن قتادة نحو (١٧٠٠) رواية.

٦) **نسخة تفسير محمد بن كعب القُرَظي المدني** (ت١٢٠هـ) التي يرويها عنه أبو مَعْشَر نَجِيح بن عبد الرحمن المدني، وموسى بن عُبيدة الرَّبَذي، وأبو صخر المدني، وهي نسخة صغيرة، فيها نحو مائة وخمسين رواية، غالبها موجود في تفسير ابن جرير وتفسير ابن أبي حاتم، ومن أشهر أسانيد ابن جرير في رواية هذه النسخة قوله: حدثنا القاسم[1] قال: حدثنا الحسين قال: حدثني حَجَّاج عن أبي مَعشَر عن محمد بن كعب.

٧) **نسخة تفسير أسباط بن نصر الكوفي** (ت١٧٠هـ) التي يرويها عن السُّدِّي الكبير، واسمه إسماعيل بن عبد الرحمن (ت١٢٧هـ)، وهذه النسخة يرويها ابن جرير من عدة طرق، أشهرها عن شيخه محمد بن الحسين قال: حدثنا أحمد بن المفضَّل قال: حدثنا

---

(١) القاسم بن الحسن من أشهر مشايخ ابن جرير، وقد روى ابن جرير عنه عن الحسين بن داود عدة نسخ في التفسير، كنسخة تفسير محمد بن كعب القرظي، وتفسير الضحاك، وتفسير ابن جُريج، وعدد الروايات التي رواها ابن جرير في تفسيره من طريق شيخه القاسم عن الحسين أكثر من (٢٣٠٠) رواية، منها (١٨٨٠) رواية من طريق القاسم عن الحسين عن حجاج عن ابن جريج.

أسباط عن السُّدِّي. ويرويها ابن جرير أيضا: عن موسى بن هارون الهمداني قال: حدثنا عمرو بن حماد القنَّاد قال: حدثنا أسباط بن نصر الهمداني عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدي عن أبي مالك[١]، وعن أبي صالح[٢] عن ابن عباس، وعن مُرَّة الهمداني[٣] عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ[٤]، وقد بلغ

---

(١) أبو مالك هو غَزوان الغِفاري، تابعي من ثقات الكوفيين.

(٢) أبو صالح باذان ويقال: باذام، مولى أم هانئ بنت أبي طالب، ضعيف جدا، لا سيما إذا روى عنه الكلبي، ولم يسمع من ابن عباس، ونهى مجاهد وغيره عن تفسيره، وقال أبو حاتم: يُكتب حديثه، ولا يُحتج به. وقال ابن عدي: عامة ما يرويه تفسير، وما أقل ما له في المسند، روى إسماعيل بن أبي خالد عنه تفسيرا كبيرا قدر جزء، في ذلك التفسير ما لم يتابعه أهل التفسير عليه، ولم أعلم أحدا من المتقدمين رضيه. يُنظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي (٤/ ٦).

(٣) مُرَّة بن شَراحِيل الهمداني البَكِيلي الكوفي، المعروف بمُرَّة الطَّيِّب ومرَّة الخير؛ لعبادته، وهو ثقة من كبار التابعين.

(٤) هذا التفسير جمعه السدي عن مشايخه الذين سماهم، وكلهم ثقات إلا أبا صالح باذان، فهو ضعيف جدا، ولم يرضه كثير من العلماء في التفسير، وقد خلط السدي روايات الجميع، فلم تتميز روايات الثقة من الضعيف.

عدد روايات أسباط عن السدي في تفسير ابن جرير نحو (١٧٧٠) رواية، وكذلك يرويها ابن أبي حاتم من عدة طرق، أشهرها عن شيخه أبي زُرعة الرازي عن عمرو بن حماد عن أسباط بن نصر عن السدي.

٨) **نسخة تفسير الربيع بن أنس البصري ثم المروزي** (ت١٤٠هـ) التي يرويها عن أبي العاليَة رُفَيْع بن مِهْرَانَ الرِّياحي (ت٩٣هـ)، وهذه النسخة يرويها ابن جرير بعدة أسانيد أشهرها قوله: حُدِّثت عن عمار بن الحسن قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه[١] عن الربيع قال: حدثني أبو العالية. ويرويها ابن جرير أيضا بقوله: حدثني المثنى بن إبراهيم قال: حدثنا آدم قال: حدثنا أبو جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي العالية، وقد بلغ عدد روايات الربيع عن أبي العالية في تفسير ابن جرير نحو (٢٢٥) رواية، ويرويها ابن

(١) أبو جعفر هو عيسى بن ماهان، من أتباع التابعين، صدوق سيء الحفظ، ليس بالقوي في الحديث، لكن في التفسير رواياته مقبولة. يُنظر: الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي (٦/ ٤٤٩، ٤٥٠).

أبي حاتم من عدة طرق، أشهرها عن شيخه عصام بن رواد العسقلاني عن آدم بن أبي إياس عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية، وقد بلغ عدد روايات الربيع عن أبي العالية في تفسير ابن أبي حاتم نحو (٤٥٠) رواية.

وبعض كتب التفسير القديمة ما زالت مخطوطة، ويقوم بعض الباحثين الأكاديميين وغيرهم بتحقيق وإخراج ما تيسر منها، ولا تزال المطابع تتحفنا بين الفينة والأخرى بطباعة كتب تفسير قديمة لم تكن مطبوعة من قبل.

وهذه أشهر كتب التفسير ومعاني القرآن وإعرابه وأحكامه القديمة خلال خمس مائة سنة:

١) تفسير مقاتل بن سليمان (ت١٥٠هـ) (مطبوع في ٥ مجلدات)

٢) تفسير ابن جُريج المكي (ت١٥٠هـ) (مطبوع)[١]

٣) تفسير سفيان الثوري (ت١٦١هـ) (مطبوع)

٤) معاني القرآن ليونس بن حبيب الضبي البصري شيخ سيبويه (ت١٨٢هـ)

٥) تفسير عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المدني (ت١٨٢هـ)

٦) تفسير السُّدِّي الصغير محمد بن مروان الكوفي[٢] (ت١٨٦هـ)

٧) معاني القرآن للكسائي (ت١٨٩هـ)

٨) تفسير عبد الله بن وهب المصري (ت١٩٧هـ) (مطبوع)

---

(١) ما كان من هذه الكتب مطبوع في مجلد أو مجلدين أكتفي بذكر أنه مطبوع، وإن كان مطبوعا في أكثر من مجلدين بينت ذلك.

(٢) هو ضعيف جدا عند المحدثين، واتهمه بعضهم بالكذب، وهو مشهور برواية التفسير عن الكلبي، أما السُّدِّي الكبير فهو إسماعيل بن عبد الرحمن الكوفي، صدوق، من أشهر علماء التفسير زمن التابعين، وإذا أُطلِق السُّدِّي في كتب التفسير فالمراد به السُّدِّي الكبير غالبا.

٩) تفسير يحيى بن سلَّام البصري ثم الإفريقي (ت٢٠٠هـ) (مطبوع بعضه)

١٠) أحكام القرآن للإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت٢٠٤هـ)، جمعه من نصوص الشافعي الحافظ البيهقي (ت٤٥٨هـ) (مطبوع)

١١) معاني القرآن لمحمد بن المستنير البصري المعروف بقطرب (ت٢٠٦هـ) (مطبوع)

١٢) معاني القرآن ليحيى بن زياد الفراء اللغوي الكوفي (ت٢٠٧هـ) (مطبوع في ٣ مجلدات)

١٣) مجاز القرآن وغريب القرآن ومعاني القرآن ثلاثتها لأبي عبيدة مَعْمر بن المثنى البصري (ت٢٠٩هـ) (الكتاب الأول مطبوع)

١٤) تفسير عبد الرزاق الصنعاني (ت٢١١هـ) (مطبوع)

١٥) معاني القرآن وغريب القرآن كلاهما للأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة البصري (ت٢١٥هـ) (الكتاب الأول مطبوع)

١٦) تفسير آدم بن أبي إياس الخراساني ثم العسقلاني (ت٢٢٠هـ)

(مطبوع)[1]

١٧) تفسير سُنيد الحسين بن داود المِصِّيصي (ت٢٢٦هـ)

١٨) تفسير سعيد بن منصور الخراساني (ت٢٢٧هـ) (مطبوع بعضه في ٥ مجلدات)

١٩) تفسير أبي بكر بن أبي شيبة الكوفي (ت٢٣٥هـ)

٢٠) أحكام القرآن لعلي بن حُجْر السعدي (ت٢٤٤هـ)

٢١) تفسير عبد بن حميد الكَشِّي (ت٢٤٩هـ)

٢٢) تفسير كتاب الله العزيز لهود بن محكم الهواري الإباضي (تبعد سنة ٢٥٠هـ) (مطبوع في ٤ مجلدات)

٢٣) تفسير الفضل بن شاذان النيسابوري (ت٢٦٠هـ)

٢٤) أحكام القرآن لداود بن علي الظاهري (ت٢٧٠هـ)

---

(١) التفسير المطبوع باسم تفسير مجاهد الراجح أنه تفسير آدم بن أبي إياس، فكله من رواية آدم بن أبي إياس، وأكثر أسانيده يقول فيها آدم: حدثنا وَرْقاء عن ابن أبي نَجيح عن مجاهد، وفيه روايات كثيرة جدا عن غير مجاهد، مما يدل دلالة قاطعة على أنه ليس تفسير مجاهد، يُنظر: موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور للدكتور حكمت بن ياسين (١/ ٢٩)، والمقدمات الأساسية في علوم القرآن لعبد الله الجديع (ص: ٣٢٠).

٢٥) تفسير بقي بن مخلد الأندلسي (ت٢٧٦هـ)

٢٦) غريب القرآن وتأويل مشكل القرآن كلاهما لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ) (الكتابان مطبوعان)

٢٧) أحكام القرآن للقاضي إسماعيل بن إسحاق الجهضمي البغدادي المالكي (ت٢٨٢هـ) (مطبوع بعضه)

٢٨) معاني القرآن وإعراب القرآن كلاهما لمحمد بن يزيد البصري المعروف بالمبرد (ت٢٨٥هـ)

٢٩) معاني القرآن وإعراب القرآن وغريب القرآن ثلاثتها لأحمد بن يحيى الكوفي المعروف بثعلب (ت٢٩١هـ)

٣٠) تفسير القرآن للهادي يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي المعتزلي، إمام الزيدية في اليمن، (ت٢٩٨هـ)

٣١) تفسير الجُبَّائي محمد بن عبد الوهاب البصري المعتزلي (ت٣٠٣هـ)

٣٢) نظم القرآن للحسن بن علي الطوسى الجرجاني (ت٣٠٨هـ)

٣٣) تفسير محمد بن جرير الطبري شيخ المفسرين (ت٣١٠هـ)

(مطبوع في ٢٤ مجلدا)

٣٤) معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (ت٣١١هـ) (مطبوع في ٥ مجلدات)

٣٥) تفسير ابن المنذر النيسابوري (ت٣١٩هـ) (مطبوع بعضه)

٣٦) تفسير أبي القاسم الكعبي البلخي المعتزلي المشهور (ت٣١٩هـ)

٣٧) تفسير العياشي السمرقندي من فقهاء الشيعة الإمامية (ت٣٢٠هـ) (مطبوع في ٣ مجلدات)

٣٨) أحكام القرآن وتفسير القرآن كلاهما لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي المصري (ت٣٢١هـ) (الكتاب الأول مطبوع)

٣٩) جامع التأويل لأبي مسلم ابن بحر الأصفهاني المعتزلي (ت٣٢٢هـ)

٤٠) إعراب القرآن وغريب القرآن كلاهما لنفطويه النحوي الظاهري (ت٣٢٣هـ)

٤١) تفسير أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، الإمام المشهور الذي ينتسب إليه الأشاعرة (ت٣٢٤هـ)

٤٢) تفسير عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت٣٢٧هـ) (مطبوع في ١٣ مجلدا)

٤٣) المشكل في معاني القرآن لأبي بكر بن الأنباري (ت٣٢٨هـ)

٤٤) غريب القرآن المسمى (نزهة القلوب) لمحمد بن عُزير السجستاني (ت٣٣٠هـ) (مطبوع)

٤٥) تفسير الماتُريدي المسمى (تأويلات أهل السنة) لأبي منصور محمد بن محمد الماتريدي الإمام المشهور الذي ينتسب إليه الماتريدية (ت٣٣٣هـ) (مطبوع في ١٠ مجلدات)

٤٦) معاني القرآن وإعراب القرآن كلاهما لابن النحاس المصري (ت٣٣٨هـ) (الكتابان مطبوعان، الأول في ٦ مجلدات، والثاني في ٥ مجلدات)

٤٧) غريب القرآن لأبي عمر الزاهد محمد بن عبد الواحد البغدادي المشهور بغلام ثعلب (ت٣٤٥هـ) (مطبوع)

٤٨) تفسير محمد بن حبان البستي صاحب الصحيح (ت٣٥٤هـ)

٤٩) أحكام القرآن لمنذر بن سعيد البلوطي قاضي قرطبة (ت٣٥٥هـ)

٥٠) نكت القرآن الدالة على البيان لمحمد بن علي الكَرَجي القصَّاب (ت٣٦٠هـ) تقريبا (مطبوع في ٤ مجلدات)

٥١) تفسير القفال الكبير الشاشي الشافعي (ت٣٦٥هـ)

٥٢) معاني القراءات لأبي منصور الهروي الأزهري اللغوي المشهور (ت٣٧٠هـ) (مطبوع في ٣ مجلدات)

٥٣) أحكام القرآن لأبي بكر الجصاص الرازي الحنفي (ت٣٧٠هـ) (مطبوع في ٣ مجلدات)

٥٤) بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي (ت٣٧٣هـ) (مطبوع في ٣ مجلدات)

٥٥) الجامع الكبير في التفسير لعلي بن عيسى الرماني النحوي المعتزلي (ت٣٨٤هـ)

٥٦) الاستغناء في علوم القرآن للأُدْفُوي النحوي المصري

(ت٣٨٨هـ)

٥٧) تفسير القرآن لعلي بن عبد العزيز الجرجاني (ت٣٩٢هـ)

٥٨) جامع التأويل في تفسير القرآن لأحمد بن فارس اللغوي المشهور (ت٣٩٥هـ)

٥٩) تفسير القرآن لأبي هلال العسكري اللغوي (تبعد سنة ٣٩٥هـ)

٦٠) تفسير ابن أبي زَمَنِين الإلبيري المالكي الأندلسي (ت٣٩٩هـ) (مطبوع في ٥ مجلدات)

٦١) تفسير ابن فَوْرَك الأصبهاني الأشعري (ت٤٠٦هـ) (مطبوع)

٦٢) تفسير ابن مَرْدَوَيْه الأصبهاني (ت٤١٠هـ) (مطبوع بعضه)

٦٣) حقائق التفسير لأبي عبد الرحمن السلمي الصوفي (ت٤١٢هـ) (مطبوع)[1]

---

(١) هو مليء بالروايات المكذوبة عن جعفر الصادق (ت ١٤٨ هـ)، قال ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (٦/ ٣٧٦): "ذكر في حقائق التفسير من الإشارات التي بعضها كلام حسن مستفاد، وبعضها مكذوب على قائله مفترى، كالمنقول عن جعفر وغيره، وبعضها من المنقول الباطل المردود". ويُنظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٤٢).

٦٤) الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي (ت٤٢٧هـ) (مطبوع في ١٠ مجلدات، وله طبعة أخرى محققة في ٣٠ مجلدا)

٦٥) البرهان في علوم القرآن لعلي بن إبراهيم الحَوفي (ت٤٣٠هـ) (مطبوع بعضه)[١]

٦٦) الهداية إلى بلوغ النهاية، والعمدة في غريب القرآن، ومشكل إعراب القرآن، كلها لمكي بن أبي طالب القيسي القيرواني ثم القرطبي (ت٤٣٧هـ) (كلها مطبوعة، والكتاب الأول مطبوع في ١٢ مجلدا)

٦٧) النكت والعيون للماوردي البصري ثم البغدادي (ت٤٥٠هـ) (مطبوع في ٦ مجلدات)

٦٨) التيسير في علم التفسير، ولطائف الإشارات، كلاهما لعبد

(١) الحَوفي من كبار علماء التفسير والنحو من أهل مصر، وكتابه كبير في نحو ثلاثين مجلدا، وما زالت أجزاؤه مبعثرة في دور المخطوطات، وقد قام الباحث إبراهيم عناني بتحقيق قطعة منه تتضمن تفسير سورة يوسف.

الكريم بن هوازن القشيري الصوفي الأشعري (ت٤٦٥هـ) (الأول مطبوع في ٤ مجلدات، والثاني مطبوع في ٣ مجلدات)

٦٩) التفسير البسيط، والتفسير الوسيط، والتفسير الوجيز، كلها للواحدي (ت٤٦٨هـ) (الأول مطبوع في ٢٤ مجلدا، والثاني مطبوع في ٤ مجلدات، والثالث مطبوع في مجلد)، وله أيضا كتاب أسباب النزول، وهو مشهور جدا.

٧٠) درج الدرر في تفسير الآي والسور لعبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) (مطبوع بعضه)

٧١) تفسير السمعاني (ت٤٨٩هـ) (مطبوع في ٦ مجلدات)

٧٢) التهذيب في التفسير للحاكم الجشمي الزيدي المعتزلي (ت٤٩٤هـ) (مطبوع في ١٠ مجلدات)

٧٣) أحكام القرآن للكيا الهراسي الشافعي (ت٥٠٤هـ) (مطبوع في ٤ مجلدات)

٧٤) تفسير البغوي (ت٥١٦هـ) (مطبوع في ٥ مجلدات)

٧٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (ت٥٣٨هـ)

(مطبوع في ٤ مجلدات)

٧٦) تفسير ابن عطية الأندلسي (ت٥٤٢هـ) (مطبوع في ٥ مجلدات)

٧٧) أحكام القرآن لابن العربي المالكي (ت٥٤٣هـ) (مطبوع في ٤ مجلدات)

٧٨) مجمع البيان للطبرسي الشيعي الإمامي (ت٥٤٨هـ) (مطبوع في ١٠ مجلدات)

٧٩) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) (مطبوع في ٤ مجلدات، وفي طبعة أخرى في ٩ مجلدات)

٨٠) التفسير الكبير للفخر الرازي (ت٦٠٦هـ) (مطبوع في ٣٢ مجلدا)[1]

(١) الفخر الرازي لم يكمل تفسيره، وقد حقق العلامة عبد الرحمن المعلمي اليماني (ت ١٣٨٦ هـ) أن القدر الذي هو من تصنيف الفخر الرازي من أول الكتاب إلى آخر تفسير سورة القصص، ثم من أول سورة الصافات إلى آخر تفسير سورة الأحقاف، ثم تفسير سورة الحديد والمجادلة والحشر، ثم من أول تفسير سورة الملك إلى آخر الكتاب، وما عدا ذلك =

هذه أشهر مراجع التفسير القديمة، سواء من التفاسير التي ألفها علماء أهل السنة، أو من تفاسير أهل البدع.

ويوجد من هذه المراجع القديمة أربعة تفاسير هي أشهر التفاسير في بابها، ولا يكاد يستغني عن النقل منها المؤلفون في علم التفسير ممن جاء بعدهم، وهي:

تفسير ابن جرير الطبري، والتفسير البسيط للواحدي، وتفسير الزمخشري، وتفسير الفخر الرازي.

فأثر هذه التفاسير عظيم جدا على كل المفسرين الذين جاءوا من بعدهم، وتغني هذه التفاسير الأربعة عن كثير من التفاسير السابقة واللاحقة لها، فقد استفاد مؤلفوها من تفاسير السابقين لهم، سواء من طريق الرواية والنقل أو من طريق اللغة والاستنباط، وأبدع مؤلفوها فيها وأجادوا بما ميز تفاسيرهم عن تفاسير معاصريهم ومن سبقهم.

= فهو من تصنيف أحمد بن خليل الخُوَيِّي (ت ٦٣٧ هـ)، والله أعلم. يُنظر: بحث حول تفسير الفخر الرازي للمعلمي.

فأولها: تفسير ابن جرير الطبري، وهو خير التفاسير على الإطلاق، وهو خزانة علم في التفسير والأحكام الفقهية والقراءات وغير ذلك، وقد أجاد فيه شيخ المفسرين الطبري ﷺ بما يسر الناظرين، ففيه أشهر روايات التفسير بالأسانيد، مع الترجيح بين الأقوال، وذكر قواعد الترجيح، وفيه ذكر معاني الكلمات الغريبة، مع ذكر شواهدها من أشعار العرب، وفيه ذكر أحكام القرآن، مع الترجيح في مسائل الفقه المختلف فيها، وفيه ذكر خلاف النحاة من الكوفيين والبصريين في اللغة والإعراب ونحو ذلك مما يتعلق بتفسير الآيات، مع الترجيح بين أقوالهم، وحين يذكر ابن جرير القراءات القرآنية يذكر ما يختاره منها، فهو من أئمة التفسير والقراءات والحديث والفقه، وكل المفسرين الذين جاءوا بعده ينقلون من تفسيره أو من التفاسير التي اعتمدت عليه، وقد اعتمد عليه الحافظ ابن كثير (ت٧٧٤هـ) في تأليف تفسيره المشهور بتفسير ابن كثير، فحذف أسانيد ابن جرير التي يرويها عن الصحابة والتابعين وأتباعهم في التفسير إلا قليلا مما أبقى فيها إسناد

ابن جرير، وذكرها من غير تكرار، وأضاف كثيرا من الروايات التي لم يذكرها ابن جرير في تفسيره، ونقلها ابن كثير من تفسير عبد الرزاق الصنعاني وعبد بن حُمَيد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه، واهتم الحافظ ابن كثير بذكر الأحاديث النبوية المتعلقة بالآيات، وساقها بأسانيدها من كتب المحدثين، وتوسع في ذلك جدا، مع ذكر الحكم عليها تصحيحا وتضعيفا غالبا، وذكر علل بعض الأحاديث، وحرص ابن كثير في تفسيره على توضيح معاني الآيات، والترجيح بين الأقوال، وأعرض عن ذكر الإسرائيليات إلا نادرا، واستفاد في بعض المواضع من تفسير الثعلبي والواحدي والبغوي والزمخشري وابن عطية والفخر الرازي والقرطبي وغيرهم، فصار تفسيره أحسن التفاسير المتوسطة، وقد اهتم العلماء باختصاره وتهذيبه؛ لتقريبه للمبتدئين وعامة المسلمين.

وثانيها: تفسير البسيط للواحدي، وهو تفسير كبير له قيمة علمية عظيمة في التفسير التحليلي للآيات، فهو يذكر معاني مفردات الآيات،

ويهتم في تفسير الآيات بسياق الأقوال وتوجيهها والترجيح بينها، ويتكلم عليها بتوسع من حيث اللغة والنحو، ويذكر القراءات مع بيان أوجهها وعللها، ويستنبط ما تدل عليه الآيات من الأحكام، ويذكر الروايات في أسباب النزول، لكن من غير تمييز بين صحيحها وضعيفها، وقد استفاد الواحدي رحمه الله من بعض كتب التفسير ومعاني القرآن المفقودة، وهذه ميزة عظيمة في كتابه، وقد اعتمد الواحدي على تفسير شيخه الثعلبي، ونقل تبعا له كثيرا من الإسرائيليات التي شانا بها كتابيهما، ووقع الواحدي في تأويل آيات الصفات على غير طريقة السلف الصالح، وذكر روايات في التفسير عن بعض الصحابة والتابعين وهي لا تصح عنهم، لكون أسانيدها تالفة أو لا أصل لها مما لا يروى بأي إسناد، وقد تتابع المفسرون بعده على ذكرها مع الروايات الصحيحة من غير تمييز وبيان، والله المستعان.

وقد اختصر الواحدي كتابه البسيط في كتاب متوسط أسماه الوسيط، واختصر الوسيط في كتاب صغير أسماه الوجيز، فجزاه الله

خيرا، فما أعظم أثره فيمن جاء بعده!

وثالثها: تفسير الكشاف للزمخشري، وهو معتزلي العقيدة، وكان من كبار علماء اللغة والبلاغة، وقد تميز في تفسيره بالتوسع في تفسير القرآن باللغة العربية، وأكثر من ذكر الفوائد البلاغية بما لا يوجد في تفاسير السابقين له، لكن الزمخشري كان حريصا في تفسيره على نصرة بدعته، فوقع في أخطاء كثيرة شنيعة، ومع هذا فأثر الزمخشري عفا الله عنا وعنه عظيم جدا في التفاسير التي جاءت بعده، لا سيما فيما يتعلق بعلم البيان وإظهار بلاغة القرآن، وقد حرص العلماء على الاستفادة من تفسيره، مع ترك بدعته وأخطائه، ووضعوا بعض الحواشي عليه، ومن التفاسير التي أكثر مؤلفوها من الاستفادة من تفسير الكشاف: تفسير الفخر الرازي، وتفسير البيضاوي، وتفسير النسفي، وتفسير ابن جُزَي، وتفسير أبي حيان، وتفسير أبي السعود، وتفسير الشوكاني، وتفسير الآلوسي، وتفسير القاسمي، وتفسير ابن عاشور، وتفسير الشنقيطي المسمى أضواء البيان.

ورابعها: تفسير الفخر الرازي، المسمى (مفاتيح الغيب)، ويسمى

أيضا (التفسير الكبير)، والفخر الرازي هو فيلسوف الأشاعرة، وله كتب كثيرة في علم الكلام، وفي تفسيره ينقل كثيرا عن الواحدي والزمخشري، وينقل أيضا من تفسير عبد الجبار المعتزلي، وتوسع في تفسير الآيات بالمنقول المأثور، وباللغة والبيان وأصول الفقه، وغير ذلك من علوم الدراية، فأظهر فوائد ولطائف كثيرة، وذكر مسائل كثيرة تتعلق بالآيات من قريب أو بعيد بترتيب عجيب، ومن أعظم عيوب تفسير الرازي عفا الله عنا وعنه أنه يقرر عقيدة الأشاعرة، ويخوض في مسائل فلسفية كلامية، ويذكر في تفسيره مناقشات وردود كثيرة على المعتزلة على طريقة المتكلمين، ويكثر من ذكر بعض الاحتمالات البعيدة، وبعضها فيها تكلف، وبعضها احتمالات باطلة، وعلى كل حال فليس الأمر كما قال بعضهم: إن تفسير الرازي حوى كل شيء إلا التفسير! بل في تفسير الرازي مما يتعلق بالتفسير درر كثيرة لا يراها الباحث في غير تفسيره، وقد مدح الطوفي الحنبلي (ت٧١٦هـ) تفسير الرازي بأنه من أوسع كتب التفسير فائدة، مع كثرة عيوبه[1]، ومن قارن

(١) يُنظر: الإكسير في علم التفسير (ص: ٥٥). ونص كلام الطوفي: "أجمع ما رأيته من =

كتب التفسير يجد أشهر المفسرين الذي جاءوا بعد الرازي ينقلون من تفسير الرازي كثيرا من الفوائد واللطائف، مثل البيضاوي وابن جزي وأبي حيان وابن عادل الحنبلي والنيسابوري والبقاعي والشوكاني والألوسي والقاسمي ومحمد رشيد رضا وابن عاشور والشنقيطي وغيرهم، وقد قام ثلاثة من الدكاترة والباحثين المعاصرين بتهذيب تفسير الفخر الرازي بأخذ ما صفى منه، وترك ما كدر، وتقريب عباراته، وطبع هذا التهذيب في ٧ مجلدات باسم (تقريب التفسير الكبير للرازي)، كما قام الدكتور صالح الفايز بتهذيب تفسير الرازي في كتاب أسماه (التهذيب الجازي لتفسير الرازي) في ٧ مجلدات.

= التفاسير لغالب علم التفسير كتاب القرطبي وكتاب مفاتيح الغيب، ولعمري كم فيه من زلة وعيب! وحكى لي الشيخ شرف الدين اليصني المالكي أن شيخه الإمام الفاضل سراج الدين المغربي السرمساحي المالكي صنّف كتاب «المآخذ على مفاتح الغيب»، وبين ما فيه من البهرج والزيف في نحو مجلدين، وكان ينقم عليه كثيرا، خصوصا إيراده شبه المخالفين في المذهب والدين، على غاية ما يكون من القوة، وإيراد جواب أهل الحق منها على غاية ما يكون من الوهاء. ولعمري إن هذا لدأبه في غالب كتبه الكلامية!".

التجديد في التفسير

أنزل الله القرآن العظيم لنتدبره ونتذكر به، فنُصدِّق أخباره، ونعمل بأحكامه، وللتفسير طرق يسير عليها أهل التفسير قديما وحديثا لا يجوز الخروج عنها، ومن خرج عنها فقد أخطأ سواء كان من المتقدمين أو من المتأخرين.

والطرق السليمة في التفسير هي: تفسير القرآن بالقرآن وبالسنة الصحيحة وبأقوال الصحابة والتابعين وباللغة العربية بما يحتمله لفظ التنزيل، فمن فسر القرآن الكريم بأحد هذه الطرق السليمة فقد أحسن وأصاب وإن كان من المتأخرين، وإن جاء بما لم يأت به من سبقه من المفسرين، ما دام أنه سار على ما ساروا عليه من التأمل والتدبر والنظر والاعتبار بإحدى الطرق السليمة في التفسير، ولم يخالف النقل الصحيح، ولا العقل الصريح.

ولقد يسر الرحمن القرآن للذكر، فمن أقبل عليه فتح الله عليه،

والناظر في كتب المفسرين القدامى والمتأخرين يجد ذلك جليا بما يبين صحة مقولة: كم ترك الأول للآخر!

ومن يطالع أشهر كتب التفسير المدونة عبر القرون في أزمنة مختلفة يجد كثيرا منها مليئا بالتجديد في المعاني وفي الأسلوب، وليست مجرد نقل محض لأقوال السابقين.

بل إن الممارس للتفسير قراءة وتدريسا يجد الكثير من المعاني والفوائد والاستنباطات التي لم يجدها في كتب التفسير، وهذا من بركة القرآن، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر:١٧].

قال ابن تيمية: (الإنسان يقرأ السورة مرات، حتى سورة الفاتحة، ويظهر له في أثناء الحال من معانيها ما لم يكن خطر له قبل ذلك، حتى كأنها تلك الساعة نزلت، فيؤمن بتلك المعاني، ويزداد علمه وعمله، وهذا موجود في كل من قرأ القرآن بتدبر، بخلاف من قرأه مع الغفلة

عنه)[1].

وقال ابن عبد الهادي عن ابن تيمية: (كتب على تفسير القرآن العظيم جملة كثيرة تشتمل نفائس جليلة، ونكت دقيقة، ومعان لطيفة، وبين في ذلك مواضع كثيرة أشكلت على خلق من علماء أهل التفسير)[2].

وقال الداوودي: (قال الذهبي في معجم شيوخه: برع ابن تيمية في تفسير القرآن، وغاص في دقيق معانيه بطبع سيال، واستنبط منه أشياء لم يُسبق إليها)[3].

والقرآن المجيد أعظم من أن يحيط بجميع معانيه عالم أو علماء زمن معين، ومن عظمته أنه لا تنقضي عجائبه، ولا شك أن علماء

---

(١) كتاب الإيمان (ص: ١٨٦، ١٨٧).

(٢) العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (ص: ٣٧٧). ويُنظر كتاب: تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء حتى لا يوجد في طائفة من كتب التفسير فيها القول الصواب بل لا يوجد فيها إلا ما هو خطأ، لابن تيمية، وهو مطبوع في مجلدين.

(٣) طبقات المفسرين (١/ ٤٨).

الصحابة رضوان الله عليهم هم أعلم الأمة بتفسير القرآن، ولكن الذين نُقِل عنهم التفسير منهم قليل كالخلفاء الأربعة وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبي موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير وأنس بن مالك وأبي هريرة وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وجابر بن عبد الله وعائشة ﵃، وأكثر الصحابة لم يُنقَل عنهم أي قول في التفسير مع أنهم كانوا قطعا يتدبرون القرآن ويفهمونه، ولا شك أن الفضل في العلم والعمل للمتقدمين، وفضل علم السلف على علم الخلف لا يخفى على من اطلع منصفا على علوم السلف وعرف أحوالهم[1]، وما نحن فيمن تقدمنا من السلف إلا كبقلٍ في أصول نخل طوال، لكننا قد نجد عند بعض المفسرين المتأخرين تحقيقات لا نجدها في كتب المصنفين الأقدمين، والعلم فضل من الله يؤتيه من يشاء.

واعلم أن المشهورين بالتفسير من الصحابة لم يُرو عنهم جميع

(١) يُنظر في هذا: بيان فضل علم السلف على علم الخلف لابن رجب (ت ٧٩٥ هـ).

علمهم في التفسير، فهذا ترجمان القرآن عبد الله بن عباس ﷺ لم يُنقل عنه تفسير كل آية في القرآن، فما نُقِل عنه أقل بكثير مما تكلم به في التفسير، وهو لم يتكلم بكل ما يعلمه، ولم يستفرغ علمه في كل آية تكلم عنها، بل إن المفسر قد يفسر الآية ثم يجد لها معنى آخر صحيح؛ ولذا يُروى عن ابن عباس وغيره أكثر من قول في تفسير بعض الآيات، فالقرآن حمّال أوجه[1]، وقد يُنقَل عن المفسر ذلك المعنى الآخر الذي ظهر له، وقد لا يُنقل عنه، فجميع المفسرين الأولين لم

(١) قال عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه (٢٠٤٧٣): عن مَعْمر عن أيوب عن أبي قِلابة عن أبي الدَّرداء ﷺ قال: (لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوها كثيرة)، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٠١٦٣) عن عبد الوهاب الثقفي عن أيوب به، ورواه أحمد بن حنبل في الزهد (٧١٣) عن إسماعيل بن علية عن أيوب به، ورجال إسناده كلهم ثقات، وأبو قِلابة هو عبد الله بن زيد الجَرمي البصري (ت ١٠٤ هـ)، من أئمة التابعين، لكنه لم يلق أبا الدرداء، وإنما سمع من زوجته أم الدرداء، وكان يُرسِل ويُدَلِّس فيروي عمن لم يسمع منهم، وكان له صحف كَتَب فيها ما سمعه من الأحاديث والآثار، وأوصى بها لأيوب السِّخْتِياني، ومثل هذا المتن الموقوف يُتساهل فيه، فهو صحيح عن أبي الدرداء، والله أعلم. يُنظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي (٢/ ٤٢٥، ٤٢٦).

يُدوَّن عنهم جميع ما علموه من التفسير، بل ولم يدوَّن عنهم كل ما تكلموا به في التفسير، وهذا أمر ظاهر لا يخفى على من تأمله.

فإذا أتى بعض العلماء المتأخرين بمعنى جديد في التفسير تحتمله الآية ولم يُنقل عن السابقين فلا يصح أن يُرد قوله لكونه لم يُسبَق إليه فيما نعلم، ولا يصح أن يُدَّعى أن جميع السلف لم يعرفوا هذا المعنى الجديد الذي قد يكون ظاهر الآية أو تحتمله الآية، فمن أين لنا أن جميع السلف - وكلهم كان يقرأ القرآن - لم يعرفوا هذا المعنى الذي ظهر للمتأخر مما تحتمله الآية؟! فعلماء السلف قطعا لم يتكلموا بكل ما يعلمونه في التفسير، ونجد في كثير من الروايات أن المفسر من الصحابة أو التابعين لم يتكلم بتفسير الآية إلا بعد أن يُسأل عنها، فلو لم يُسأل عنها لم يكن ليفسرها، فكيف يُظن أن كل عالم من الصحابة والتابعين وأتباعهم تكلم بكل ما يعلمه من التفسير، وأن ذلك دوِّن عنه في كتب التفسير؟!

قال الشيخ صالح آل الشيخ: (الإجماع أن يكون كل من عُرِف

بالتفسير من التابعين نُقل تفسيره للآية فاتفقوا عليه، نجد أن المنقول في الآية يُنقل عن واحد اثنين فقط، لا يسوغ أن نقول: إن البقية الذين لم يُنقل كلامهم متفقون معهم في ذلك، كذلك عدم ذكر الخلاف لا يعني الإجماع، بعض العلماء يسميه إجماع سكوتي، وبعضهم يقول: لم يعلم لهم مخالف فكان إجماعا، هذه كلها فيها تجوّز)[1].

فلا يصح أن نظن أنه تم تدوين جميع أقوال السلف في كتب التفسير بالمأثور، فهذا ابن عباس مثلا سأله التابعي الجليل مجاهد بن جبر عن القرآن آية آية كما ثبت ذلك عنه، ومع هذا لا نجد لابن عباس قولا مرويا في كثير من الآيات، وكذلك لا نجد لتلميذه مجاهد قولا مرويا في بعض الآيات، وهذا ظاهر لكل من يطلع على كتب التفسير المسندة كتفسير عبد الرزاق الصنعاني وتفسير ابن جرير وتفسير ابن أبي حاتم، أو اطلع على كتاب الدر المنثور في التفسير بالمأثور

(١) شرح مقدمة التفسير لصالح آل الشيخ دروس صوتية، مفرغ في برنامج المكتبة الشاملة (١٢/ ٢١، بترقيم المكتبة الشاملة آليا).

للسيوطي الذي جمع فيه غالب ما روي عن السلف في التفسير من الصحيح والضعيف، مع حذف أسانيدها، وهو مطبوع في (٨) مجلدات.

ومن التفاسير المليئة بالفوائد مما لا يكاد يجده الباحث فيما تقدمها من كتب التفسير:

تفسير ابن جرير الطبري، وتأويلات أهل السنة للماتريدي، ولطائف الإشارات للقشيري، والكشاف للزمخشري، والمحرر الوجيز لابن عطية، والتفسير الكبير للرازي، وتفسير القرطبي، وتفسير ابن تيمية، والبحر المحيط لأبي حيان، وتفسير ابن كثير، ونظم الدرر للبقاعي، وقطف الأزهار والإكليل في استنباط التنزيل كلاهما للسيوطي، وفتح القدير للشوكاني، وروح المعاني للألوسي، ومحاسن التأويل للقاسمي، وتفسير المنار لمحمد رشيد رضا، وتفسير السعدي، والتحرير والتنوير لابن عاشور، وفي ظلال القرآن لسيد قطب، وأضواء البيان والعذب النمير كلاهما للشنقيطي، وزهرة التفاسير لمحمد أبو زهرة، وتفسير الشعراوي، وتفسير ابن عثيمين،

ومعارج التفكر ودقائق التدبر لعبد الرحمن حبنَّكة الميداني، والتفسير المنير للزحيلي، وأيسر التفاسير للجزائري، وغيرها كثير، وغالبا لا يخلو كتاب تفسير من فائدة.

ومعلوم أن بعض هذه التفاسير فيها أخطاء كثيرة في العقيدة، فبعض مؤلفيها من المعتزلة أو الصوفية أو الماتريدية أو الأشاعرة أو من المتأثرين ببعض البدع، لكن الحق أحق أن يتبع، والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها، فهذه التفاسير مفيدة للمتخصصين في التفسير، لا سيما في الاستنباطات والهدايات القرآنية.

ومن الذي ما ساء قط ... ومن له الحسنى فقط؟

﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر:١٠].

ومن الأمثلة على التجديد في التفسير بما لم يُنقل في كتب المفسرين السابقين:

١- قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَاجٖ﴾ [الزمر:٦]، فسر

المفسرون السابقون الإنزال هنا بالخلق، ورجح ابن تيمية معنى آخر فقال: "لا حاجة إلى إخراج اللفظ عن معناه المعروف لغة؛ فإن الأنعام تنزل من بطون أمهاتها، ومن أصلاب آبائها تأتي بطون أمهاتها"[(١)].

٢- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ١٠﴾ [البروج:١٠]، لم يفرِّق المفسرون المتقدمون بين عذاب جهنم وعذاب الحريق في هذه الآية، وفرق بينهما ابن عاشور، فجوز أن يكون المراد بعذاب الحريق عذاب القبر[(٢)].

٣- دليل من القرآن على أن الإنسان مسير ومخير لم يذكره المؤلفون

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٢٥٤). وقال ابن القيم: "الأنعام تُخلَق بالتوالد المستلزم إنزال الذكور الماء من أصلابها إلى أرحام الإناث، ولهذا يُقال: أنزل ولم يُنزل، ثم الأجنة تنزل من بطون الأمهات إلى وجه الأرض، ومن المعلوم أن الأنعام تعلو فحولها إناثها بالوطء، وينزل ماء الفحل من علو إلى رحم الأنثى، وتُلقي ولدها عند الولادة من علو إلى أسفل". مختصر الصواعق (ص: ٤٤٢).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٤٧). ويُنظر رسالة: ١٢ دليلا من القرآن الكريم على إثبات نعيم القبر وعذابه للمؤلف، منشورة في موقع الألوكة وغيره.

في العقائد: يذكر علماء أهل السنة أن الإنسان مسير ومخير في نفس الوقت، ويستدلون بقوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾ [التكوير:٢٩] حيث أثبت الله للإنسان مشيئة لكنها تحت مشيئة الله، وقد وجدت دليلا آخر على هذا، وهو قوله سبحانه: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨﴾ [الشمس:٧-٨] حيث ذكر الله أنه هو الذي ألهم النفس فجورها وتقواها، فهو الذي قدَّر ذلك قبل أن يخلقها، ومع هذا نسب الله الفجور والتقوى للعبد، فالإنسان هو الذي فجر أو اتقى، فالدليل على أنه مسير قوله: ﴿فَأَلۡهَمَهَا﴾، والدليل على أنه مخير قوله: ﴿فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا﴾، ففِعلُ العبد يُنسب إلى الله خلقا وتقديرا، ويُنسَب للعبد فعلا واختيارا، وقد ضل من جعل العبد مسيرا فقط كالشعرة في مهب الريح، وهم الجبرية، وضلت القدرية الذين جعلوا العبد مخيرا فقط، ونفوا تقدير الله لأفعال العباد، وهو الذي خلق كل شيء بقدر، وعلم كل ما سيكون، ولا

يكون في ملكه إلا ما يشاء ﷻ.

٤- استنباط عجيب من القرآن يدل على براءة كل من صحب النبي ﷺ في حجة الوداع من النفاق: قال الله تعالى: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ٨٣﴾ [التوبة:٨٣] قال المفسرون: أي: فإن أرجعك الله - يا نبي الله - إلى طائفة من المنافقين فاستأذنوك للخروج معك للجهاد فقل لهم عقوبة لهم: لن تصحبوني في أي سفر للجهاد أو النسك أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا من الأعداء أبدا[1].

قلت: يستنبط من هذه الآية الكريمة: أن كل من صحب النبي ﷺ في حجة الوداع فهو بريء من النفاق، فإن الله أمر رسوله أن يخبر

(١) يُنظر: تفسير ابن جرير (١١/ ٦٠٨)، البسيط للواحدي (١٠/ ٥٧٩)، تفسير البغوي (٢/ ٣٧٥)، تفسير القرطبي (٨/ ٢١٧)، تفسير ابن كثير (٤/ ١٩٢)، تفسير أبي السعود (٤/ ٨٩)، فتح القدير للشوكاني (٢/ ٤٤٢)، تفسير المنار لمحمد رشيد رضا (١٠/ ٤٩٣)، تفسير السعدي (ص: ٣٤٦)، التحرير والتنوير لابن عاشور (١٠/ ٢٨٢، ٢٨٣).

المنافقين بعدم تشرفهم بصحبة النبي ﷺ بعد رجوعه من غزوة تبوك في أي سفر من أسفاره أبدا، وقد نزلت هذه الآية من سورة التوبة بعد غزوة تبوك سنة ٩ للهجرة، ثم حج النبي ﷺ سنة عشر من الهجرة، وخرج معه عشرات الآلاف من أصحابه الكرام، وكلهم بريء من النفاق بشهادة هذه الآية؛ فإن الله أخبر أن المنافقين لن يخرجوا مع رسوله أبدا في أي سفر من أسفاره، فكل من يتهم أصحاب النبي بالنفاق فهو مكذِّب بالقرآن العظيم.

وقد تقدم أن الاستنباط من القرآن يجوز بشرطين:

الشرط الأول: أن يحتمل المعنى المستنبط ظاهر لفظ القرآن، بما يوافق قواعد اللغة العربية في الإفراد والتركيب.

الشرط الثاني: أن لا يخالف المعنى المستنبط صريح القرآن أو السنة الصحيحة، فإن القرآن حق يصدق بعضه بعضا، والسنة حق توافق القرآن ولا تخالفه.

فمن أتى باستنباط أو معنى جديد يخالف ظاهر الآية أو يخالف ما

قرره القرآن الكريم أو السنة الصحيحة فإنه خطأ لا يُقبل بحال، وقد يكون من التلاعب بآيات القرآن، كما يفعل بعض أهل الأهواء، ومن أتى باستنباط أو معنى جديد يحتمله لفظ القرآن الكريم، ولا يخالف ما قرره القرآن أو السنة الصحيحة فإنه يُقبل؛ لأن من خصائص القرآن الكريم أنه حمَّال أوجه، وهذا من عظمة القرآن المجيد، فالآية الواحدة قد تُفسر بأكثر من قول إن كانت تلك الأقوال معانيها صحيحة ويحتملها اللفظ القرآني بما يوافق قواعد اللغة العربية.

قال ابن مالك النحوي في مقدمة كتابه تسهيل الفوائد: "وإذا كانت العلومُ مِنَحًا إلهية، ومواهبَ اختصاصية، فغيرُ مستبعَدٍ أن يُدَّخَر لبعض المتأخرين ما عسُرَ على كثيرٍ من المتقدِّمين، أعاذنا الله من حسدٍ يسدُّ بابَ الإنصاف، ويصدُّ عن جميل الأوصاف"[1].

وعلَّق المرتضى الزَّبيدي على كلام ابن مالك فقال: "والمعنى أن تَقدُّم الزمان وتأخُّرَه ليست له فضيلةٌ في نفسه؛ لأن الأزمانَ كلَّها

(١) تسهيل الفوائد (ص:٢).

متساويةٌ، وإنما المعتَبر الرجالُ الموجودون في تلك الأزمان، فالمصيبُ في رأيه ونقلِه ونقدِه لا يضرُّه تأخُّرُ زمانِه الذي أظهره اللهُ فيه، والمخطئ الفاسدُ الرأيِ الفاسدُ الفهمِ لا ينفعه تقدُّم زمانِه، وإنما المُعاصرة - كما قيل -: حِجابٌ، والتقليد المَحْضُ وبالٌ على صاحبه وعذاب"[1].

فمن الخطأ إغلاق باب التجديد في التفسير مطلقا، والاقتصار على الاستفادة من كتب التفسير بالمأثور فقط، وإنكار كل معنى صحيح يحتمله لفظ القرآن لكون قائله من المتأخرين، ومن الخطأ أيضا فتح الباب على مصراعيه لكل من هب ودب من غير ضوابط، فالسلف الصالح أسسوا لنا العلوم الشرعية وبينوا لنا المناهج الصحيحة لنبني عليها، ولا يصح هدم الأساس الذي بنينا عليه، ولا يصح إنكار التجديد بضوابطه.

قال القرافي: "العلوم ليست تقليدية، ولا يجمد فيها على حالة

(١) تاج العروس (١/ ٩٣). ويُنظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١/ ٣٢، ٣٣).

واحدة طول عمره، إلا جامد العقل، فاتر الذهن، قليل الفكرة، فاتر الفطنة، إلا في الأمور الجليلة جدا؛ فإنها لا تتغير عند العقلاء"[(١)].

وقال يوسف الجديع: "في الوقت الذي نؤكّد فيه على ذم التقليد، وندعو إلى التجديد والرجوع إلى منابع هذا الدين الصافية، نقوم على أسس مستقرة في الأعماق لا نخشى معها زلزلة العواصف، بخلاف من يُقدم على تفسير القرآن وهو يبذر في تربة سبخة، ويسقي بماء ملح، كشرذمة لا يكاد يخلو منهم زمان بعد خير القرون، يريدون الإبداع - زعموا- دون تاريخ، ويدَّعون التجديد دون قديم، ولا يُبدِع من لا تاريخ له، ولا يُجدِّد من لا أصل له"[(٢)].

(١) نفائس الأصول في شرح المحصول (٥/ ١٩٥٢).

(٢) المقدمات الأساسية في علوم القرآن (ص: ٣١٣).

الإعجاز العلمي في القرآن

من القرآن العظيم ما استأثر الله بعلمه، كما قال الله سبحانه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وقد يشاء الله أن يطَّلع المتأخرون على معنى آية دون المتقدمين، ولكن هذا قليل جدا، وكثير منه مما تحتمل الآية ما ذكره السلف وما ذكره المتأخرون، فإن القرآن حمال أوجه، ومن ذلك الإعجاز العلمي في القرآن، والناس في الإعجاز العلمي في القرآن على ثلاثة أصناف، طرفين ووسط:

- **فقوم بالغوا في إثبات الإعجاز العلمي في القرآن**، وتكلفوا في حمل كثير من الآيات على بعض الحقائق العلمية مع عدم احتمال اللفظ القرآني لما ذهبوا إليه[1]، وفسروا بعض الآيات وفق بعض

(١) من ذلك ادِّعاء بعضهم أن قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧﴾ [الرحمن:٧] يدل على ميزان الجاذبية الأرضية! والصواب أن الميزان المذكور في الآية هو العدل، ويدل على ذلك قوله تعالى في الآية التي بعدها: ﴿أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨﴾ [الرحمن:٨].

النظريات التي لم تثبت بالأدلة القطعية[1]، وهؤلاء أفرطوا وتكلَّفوا.

- **وقوم نفوا الإعجاز العلمي في القرآن جملةً وتفصيلًا**[2]، وهؤلاء فرَّطوا وقصَّروا.
- **وقوم توسطوا، فأثبتوا من الإعجاز العلمي ما احتمله لفظ القرآن بلا تكلف**، بشرط أن يكون الإعجاز في حقيقة علمية لا نظرية قابلة للقبول والرد، فإن ثبت الإعجاز فسروا الآية بما فسرها السلف

---

(١) من ذلك ادِّعاء بعضهم أن قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء:٣١] يدل على نظرية الانفجار العظيم! ومعنى الآية عند العلماء: أن السماء كانت رتْقا لا تمطر، ففتقها الله بالمطر، والأرض كانت رتْقا لا تنبت، ففتقها الله بالنبات، ويدل عليه تتمة الآية: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء:٣٠]، فالله سبحانه جعل من الماء الذي أنزله من السماء كل شيء حي مما ينبت من الأرض.

(٢) ومنهم من ينفي أيضا الإعجاز العلمي في السنة النبوية، ومنهم من يثبت بعض الإعجاز العلمي في السنة، وينفي جميع الإعجاز العلمي في القرآن! وهذا تناقض واضطراب.

أولا بالإضافة إلى المعنى الجديد[1]، وهذا هو الموقف الصحيح من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم بلا إفراط ولا تفريط.

(١) ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤﴾ [القيامة:٣-٤] أي: أيظن الإنسان الكافر أن الله سبحانه لا يقدر بعد موته على جمع عظامه المفتتة من أماكنها المتفرقة؟! بلى نقدر على جمع عظام الإنسان في حال كوننا قادرين يوم القيامة على جمع عظام أصابعه وخلقها من جديد مع صغرها، ونقدر-لو شئنا-أن نجعل في الدنيا جميع أصابعه مستوية. وفي الآية إشارة إلى اختلاف بصمات الناس كما ثبت ذلك في العلم الحديث، فيكون هذا من الإعجاز العلمي في القرآن، فيدخل في معنى الآية: قدرة الله على تسوية بصمات أصابع الناس لو أراد ذلك، والله أعلم.

أشهر المفسرين عبر القرون

(ترتيب المفسرين حسب الوفيات)

- **أشهر مفسري الصحابة:** أُبي بن كعب الأنصاري وعبد الله بن مسعود وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس ﷺ، وهؤلاء الأربعة أكثر من نُقِل عنهم التفسير من الصحابة، لا سيما ابن عباس، ونُقِل أيضا كثير من التفسير عن عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت وأبي موسى الأشعري وعائشة وأبي هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر بن الخطاب وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وغيرهم ﷺ أجمعين.
- **أشهر مفسري التابعين:** أبو العالية الرِّياحي وعُروة بن الزبير وسعيد بن جُبَير والضَّحَّاك بن مُزاحِم ومجاهد بن جَبْر وعِكرمة مولى ابن عباس والحسن البصري وعَطاء بن أبي رَباح وقَتَادة السَّدوسي ومحمد بن كَعب القُرَظي وإسماعيل بن عبد الرحمن

السُّدِّي الكبير.

- **أشهر مفسري القرن الثاني من غير التابعين:** مقاتل بن حيَّان ومقاتل بن سليمان وعبد الملك بن عبد العزيز بن جُرَيج وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ومحمد بن مروان السُّدِّي الصغير وعبد الله بن وهب المصري ويحيى بن سلَّام البصري.
- **أشهر مفسري القرن الثالث:** محمد بن إدريس الشافعي ويحيى بن زِيَاد الفرَّاء وأبو عُبيدة مَعْمر بن المثنى وعبد الرزاق الصنعاني والأخفش الأوسط سعيد بن مَسْعَدة وآدم بن أبي إياس وابن قُتَيبة الدِّينَوَرِي.
- **أشهر مفسري القرن الرابع:** شيخ المفسرين محمد بن جرير الطبري والزَّجَّاج وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن عُزير السجستاني وأبو منصور الماتُريدي وأبو جعفر النَّحَّاس وأبو عمر الزاهد المعروف بغلام ثعلب والجَصَّاص وأبو الليث السَّمرقندي وابن أبي زمَنِين.

- **أشهر مفسري القرن الخامس:** الراغب الأصفهاني والثعلبي والحَوْفي ومكي بن أبي طالب القيسي والماوردي والواحدي وأبو المظفر السمعاني.
- **أشهر مفسري القرن السادس:** الكيا الهرَّاسي والبغوي والزمَخْشَري وابن عَطِية وابن العربي المالكي وابن الجَوزي.
- **أشهر مفسري القرن السابع:** الفخر الرازي وأبو عبد الله القرطبي والبَيضاوي.
- **أشهر مفسري القرن الثامن:** أبو البركات النَّسَفي وابن تيمية وابن جُزي والطِّيبي والخازن وأبو حيَّان وابن التُّرْكُماني وابن قيم الجوزية والسَّمين الحلبي وابن كثير وابن عادل الحنبلي وابن رجب.
- **أشهر مفسري القرن التاسع:** ابن عَرَفة وابن الهائم والنيسابوري والمحلِّي وابن التَّمجِيد والبِقاعي.
- **أشهر مفسري القرن العاشر:** الإيجي والسيوطي والعَليمي

والشربيني وأبو السُّعود.

- **أشهر مفسري القرن الحادي عشر:** شيخ زاده والخَفَاجي.
- **أشهر مفسري القرن الثاني عشر:** إسماعيل حَقِّي وابن الأمير الصنعاني والقُونَوي.
- **أشهر مفسري القرن الثالث عشر:** سليمان الجَمَل وابن عَجيبة والمظَهَّري والشوكاني والألوسي.
- **أشهر مفسري القرن الرابع عشر:** القنَّوجي والجاوي والقاسمي والفَراهي ومحمد رشيد رِضا وابن باديس والمراغي والسعدي وفيصل المبارك وسيد قطب وابن عاشور ومحمد الأمين الشنقيطي ومحمد أبو زهرة وعبد القادر حويش وعبد الرحمن الدوسري.
- **أشهر مفسري النصف الأول من القرن الخامس عشر:** محمد متولي الشعراوي ومحمد بن صالح العثيمين وعبد الرحمن حبنَّكة الميداني ومحمد سليمان الأشقر ومحمد طنطاوي ووهبة الزحيلي

وأبو بكر الجزائري ومحمد الأمين الهرري ومحمد بن علي الصابوني وحكمت بشير ياسين ومحمد بن عبد الرحمن المغراوي وسليمان بن إبراهيم اللاحم وعبد الله خضر الكردي ومحمد خير بن رمضان يوسف ومصطفى العدوي وعائض القرني ومأمون حموش ومجد مكي وغيرهم كثير[1].

(١) مفسرو النصف الأول من القرن الخامس عشر كثير جدا بحمد الله، وقد اقتصرت هنا على أشهرهم، ممن ألف تفسيرا لكتاب الله، فكل هؤلاء المذكورين لهم تأليف في التفسير، ما عدا الشعراوي وابن عثيمين فهما لم يؤلفا تفسيريهما كتابة، وإنما كانت لهم دروس مشهورة في التفسير، فتم تفريغها وكتابتها وطباعتها.

أفضل كتب غريب القرآن

(١) **التبيان في غريب القرآن**، لابن الهائم (ت٨١٥هـ)، اختصره من كتاب نزهة القلوب لابن عُزَير السجستاني (ت٣٣٠هـ)، ورتبه ابن الهائم على ترتيب السور، وزاد فيه بعض الفوائد، وهو مناسب للمتوسطين.

(٢) **وجه النهار الكاشف عن معاني كلام الواحد القهار**، للدكتور عبد العزيز الحربي، كتاب محرر مفيد للمتوسطين.

(٣) **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، للسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ)، اعتمد فيه على كتاب المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ت٤٢٥ هـ تقريبا)، الذي يعتبر أهم كتب غريب القرآن، وأضاف السمين في كتابه فوائد وتحريرات زائدة، فصار كتابه أفضل من أصله، وهو مناسب للمتخصصين.

(٤) **المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم**، للدكتور

محمد حسن جبل (ت١٤٣٦هـ)، مطبوع في ٤ مجلدات، وهو كتاب مفيد جدا للمتخصصين في باب معرفة معاني ألفاظ القرآن، كما أن كتاب دراسات لأسلوب القرآن الكريم للدكتور محمد عبد الخالق عضيمة (ت١٤٠٤هـ) المطبوع في ١١ مجلدا كتاب قيم جدا للمتخصصين في باب معرفة أساليب القرآن الكريم، ويعتبر موسوعة مستوعبة لدقائق علم النحو، وعلم الصرف، وعلم اختلاف الأساليب.

أما كتب غريب القرآن المناسبة للمبتدئين فكثيرة، منها:

(١) **كلمات القرآن تفسير وبيان،** لحسنين محمد مخلوف مفتي مصر (ت١٤١٠هـ).

(٢) **تفسير غريب القرآن،** لكاملة الكواري.

(٣) **السراج في بيان غريب القرآن،** للدكتور محمد الخُضيري.

(٤) **الميسر في غريب القرآن،** إصدار مركز الدراسات القرآنية بمجمع الملك فهد.

أفضل كتب التفسير المناسبة للمبتدئين

كتب التفسير المناسبة للمبتدئين كثيرة جدا، أذكر خمسة منها:

(١) **تفسير الجلالين**، لجلال الدين المحلي (ت٨٦٤هـ)، وجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، وهو تفسير مفيد جدا للمبتدئين، ويوجد كتاب تهذيب تفسير الجلالين، لمحمد بن لطفي الصباغ، وكتاب مهذب تفسير الجلالين، هذبه الشيخ سعد الحصين وآخرون، حُذِف منهما ما في تفسير الجلالين من إسرائيليات وأخطاء عقدية لا سيما فيما يتعلق بتأويل آيات الصفات، وللشيخ محمد بن عبد الرحمن الخميّس رسالة مفيدة مختصرة بعنوان: (أنوار الهلالين في التعقبات على الجلالين).

(٢) **زبدة التفسير**، للدكتور محمد الأشقر (ت١٤٣٠هـ)، اختصره من تفسير فتح القدير للشوكاني (ت١٢٥٠هـ).

(٣) **تيسير الكريم الرحمن**، المشهور بتفسير السعدي،

(ت١٣٧٦هـ)، وهو تفسير يتميز ببيان المعنى الإجمالي للآيات، مع ذكر كثير من أحكام القرآن والفوائد التربوية والهدايات القرآنية، وهو تفسير سهل، مناسب للمبتدئين والمتوسطين، ولا يستغني عنه المتخصصون.

(٤) **التفسير الميسر**، لمجموعة من العلماء.

(٥) **المختصر في تفسير القرآن الكريم**، لمجموعة من العلماء.

(٦) وللمؤلف كتاب **التسهيل في تدبر جزء عم مع سورة الفاتحة وآية الكرسي**، وكتاب **التسهيل في تدبر جزء تبارك**، مناسبان جدًّا للمبتدئين.

أفضل كتب التفسير المناسبة للمتوسطين

كتب التفسير المناسبة للمتوسطين كثيرة جدا، أقتصر على ذكر ثلاثة منها:

(١) **تفسير ابن كثير**، (ت٧٧٤هـ)، وله مختصرات كثيرة ألفها كثير من العلماء، مثل أحمد شاكر والمباركفوري ومصطفى العدوي ومحمد الأشقر ومحمد كريِّم راجح وغيرهم كثير، فبعض المتوسطين لا يناسبه قراءة الأسانيد التي أكثر من ذكرها الحافظ ابن كثير، فقام بحذفها المختصرون والمهذبون لتفسير ابن كثير، فمن لم يتيسر له قراءة الأصل، فليقرأ أحد مختصراته، فتفسير ابن كثير أحسن كتب التفسير المتوسطة على الإطلاق.

(٢) **المعين على تدبر الكتاب المبين**، لمجد بن أحمد مكي، اعتمد فيه على تفسير الخازن (ت٧٥١هـ)، واستفاد كثيرا مما كتبه عبد الرحمن حبنَّكة الميداني (ت١٤٢٥هـ) في كتابه معارج

التفكر ودقائق التدبر، مع الرجوع إلى تفاسير أخرى قديمة وحديثة، وهو كتاب مفيد جدا للمتوسطين، وهو مطبوع على هامش المصحف.

(٣) **التسهيل لعلوم التنزيل**، لابن جُزَي الغرناطي (ت٧٤١هـ)، وهو كتاب مفيد جدا للمتوسطين، وأحسن طبعاته الطبعة التي بتحقيق علي الصالحي في ٣ مجلدات.

أشهر التفاسير التي اشترك في تأليفها مجموعة من الباحثين

أشهر مختصرات التفسير المعاصرة

(١) **التفسير الميسر**. نشره مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة النبوية.

(٢) **المختصر في تفسير القرآن الكريم**. نشره مركز تفسير للدراسات القرآنية.

أشهر موسوعات التفسير المعاصرة

(١) **موسوعة التفسير المأثور**، عمل جماعي بإشراف الشيخ الدكتور مساعد الطيار، صدرت الموسوعة عام ١٤٣٩ هجرية في ٢٤ مجلدا.

(٢) **التفسير المحرر، وهو موسوعة في التفسير قام بها موقع الدرر السنية**، وهو تفسير محرر كاسمه، مطبوع في ٤٤ مجلدا.

(٣) **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، قام بتأليفه مجموعة من

العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، مطبوع في ١٠ مجلدات.

(٤) **موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم**، قام بجمعها فريق من الباحثين بإشراف مركز تفسير للدراسات القرآنية، صدرت الموسوعة عام ١٤٤٠ هجرية في ٣٦ مجلدا.

(٥) **موسوعة الهدايات القرآنية**، عمل أكاديمي عالمي يشترك فيه ٦٠ باحثًا من عدة جامعات من مختلف أنحاء العالم، بإشراف مجموعة من الدكاترة الفضلاء في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، يسر الله إتقانه وإتمامه.

الفرق بين علم الهدايات القرآنية وعلم التفسير

التفسير هو: بيان معاني القرآن الكريم، بينما الهدايات هي: الدلالات المبينة لما تضمنه القرآن الكريم من إرشادات علمية وعملية، فبينهما علاقة وثيقة، فإن المستخرِج لهدايات القرآن الكريم يحتاج أولًا أن يعرف معاني الآيات قبل أن يستنبط منها الهدايات، ويمكن توضيح الفرق بين علم التفسير وعلم الهدايات القرآنية فيما يلي:

(١) علم التفسير يهتم بتوضيح معاني الآيات، بينما علم الهدايات يهتم بما تهدي وترشد إليه تلك المعاني القرآنية، فالتفسير بيان وتوضيح، والهدايات دلالات وإرشادات.

(٢) علم التفسير يحرص المفسر فيه على تفسير القرآن بالقرآن الكريم، وبالسنة النبوية، وبأقوال الصحابة والتابعين وأتباعهم، وبما يوافق اللغة العربية، بينما علم الهدايات

يحرص فيها المستنبِط على تدبر معاني الآيات، والتأمل في دلالات الألفاظ، والنظر في سياق الآيات، ومناسبة السورة والآيات لما قبلها وما بعدها، والنظر في موضوع السورة، والتفكر في مجموع أدلة الكتاب والسنة، واستحضار مقاصد الشريعة وأصولها، وربط الآيات بالواقع؛ لأن القرآن العظيم كتاب هداية لكل زمان ومكان، وفيه بيان ما يحتاج إليه المسلمون في كل الأمور والأحوال.

(٣) علم التفسير مقدمة لعلم الهدايات، فالتفسير وسيلة، والهدايات غاية، فإن المقصد من تفسير القرآن العظيم هو معرفة هداياته للعلم والعمل بها[١].

(١) يُنظر: الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية لطه عابدين وياسين قادري وفخر الدين الزبير (١/٤٨-٥٥)، وتقريب الهدايات القرآنية للمؤلف، منشور في موقع الألوكة وغيره.

المحتويات

المقدمة ٧
التمهيد ١١
نشأة علم التفسير ١٨
مراحل تدوين علم التفسير ٣٣
أقدم كتب التفسير ومعاني القرآن وإعرابه وأحكامه ٧٠
التجديد في التفسير ٩٩
الإعجاز العلمي في القرآن ١١٥
أشهر المفسرين عبر القرون ١١٨
أفضل كتب غريب القرآن ١٢٣
أفضل كتب التفسير المناسبة للمبتدئين ١٢٥
أفضل كتب التفسير المناسبة للمتوسطين ١٢٧
أشهر التفاسير التي اشترك في تأليفها مجموعة من الباحثين ١٢٩
الفرق بين علم الهدايات القرآنية وعلم التفسير ١٣١
المحتويات ١٣٣

Q4.Prn
Quickly For Print
كيوفور
للطباعة والنشر
q4.prn@hotmail.com
+٩٦٧ ٧٧٧ ٠٢٠ ٠٤٥
+٩٦٧ ٧٧٤ ٦٦٩ ٤٩٧

Q4.Prn
Quickly For Print
كيوفور
للطباعة والنشر